

عرائس الشعراء

إعداد
سيم كززل

منشور الطبع
في بيروت

عمر السعداء

إعداد
سليم مكرزل

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

مؤسسة عز الدين
للطباعة والنشر

هاتف: ١٦٤٠٠ (٨٣) - ٢٧٥٥٣٢ - ٢٧٥٥٦٣ - ٢٧٥٨٦٧ - ص.ب: ١٣/٥٢٥١ بيروت - لبنان

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة: من هي عروس الشعر؟	٧
فاطمة وامرؤ القيس	٩
مارية وامرؤ القيس	١٣
عبلة وعنترة	١٧
عبدة وبشار	٢٣
بشينة وجميل	٢٧
زينب وعمر	٣٣
الثرثيا وعمر	٣٩
سُكينة وعمر	٤٥
عائشة وعمر	٥٧
هند وعمر	٤٩
نَواز والفرزدق	٦٣
عزة وكثير	٦٥
ليلي وقيس	٦٩
لُبنى وقيس	٧٣
ليلي وتوبة	٧٩

٨٣ عاتكة وأبو دهبيل
٩١ أسماء والمرقش الأكبر
٩٧ أم جعفر والأحوص
١٠١ ورد وديك الجن
١٠٩ ولادة وابن زيدون
١١٥ حبشة وابن علقمه
١١٩ عتبة وأبو العتاهية
١٢٢ ليلى والبراق
١٢٣ فضل وابن جهم
١٢٥ الرميكية وابن عبّاد

مَن هي عروس الشعر؟

قال الأقدمون إنّ عروسَ الشعر هي جَنِيَّةٌ رُوحُهَا خَلَابٌ وقلبها جَذَابٌ ووشاحها على جَنَاتٍ أَطْيَاب. تُوحِي لشاعرها ما ينظمه من روائع.

وقيل: بل هي جمالات مُتعدِّدة، سرُّبٌ من عذارى الغاب الخَفِيَّاتِ، يُواكِبْنَ الشاعرَ في غدواته وعشائياه، لا يُوشِّح أجسادهنَّ سوى غداثرهن، يَرْفَقْنَ حوله في شتى حركاته وسكناته، نافثاتٍ لروحه غرائب الأنعام والأخيلة والهمسات.

بل قيل: هي فينوس، تختاره منذ طفولته، فتحنى مُقبلةً ثغره مُشِيعَةً في قلبه خمرة الغيبِ وأسرارَ الآلهة.

وعروس الشعر في العهود الأدبية الأولى، هي تلك الملهمة الصعبة المنال، لشعراء مُعذِّبين، عاشوا في ظلِّ عادات وتقاليد، فتعذَّبوا أَيْماً عذاب، وعانوا مرارة العيش على شظفه وجفافه، لكنهم تركوا لنا أروع الشعر، وأقسى الذكريات، وأغرب القصص العاطفية.

فاطمة وامرؤ القيس

ولد امرؤ القيس في نجد حوالى العام ٥٠٠ م. وعاش عيشة أبناء الملوك، فوالده حُجْر الكِنْدِيّ، ملك بني أَسَدٍ وَغَطَفَانَ.

انجرف الشاعر الجاهلي باكراً في حياة الترف واللهو. وجعل يتهتك في شعره ويفحش في سرِّ قصصه الغرامية، فردعه أبوه عن قول الشعر (لأنه ليس من عادة الملوك). فلم يرتدع، فطرده.

* * *

كان امرؤ القيس يحب ابنة عمه عُنَيْزَةَ أو فاطمة (كما لقبها) وفي «دائرة جُلُجُل» كان له (يومٌ صالح) إذ رأى حبيبته هناك مع سرب من العذارى يتنزهن قرب غدير، فجلس معهن طوال النهار وذبح ناقته فأكلن من لحمها، ولدى عودتهن حملت كل واحدة على راحلتها شيئاً من أمتعة امرئ القيس، أمّا هو - ذابح ناقته - فأشفقت عليه ابنة عمه وأردفته وراءها على راحلتها.

هذه القصة، عرضها الشاعر في معلقته التي بلغت أبياتها الثمانين

بيتاً.

* * *

ما أجمل الملك الضليل واقفاً يُلقى على الجاهليين المحتشدين في

سوق عُكاظ، أوَّلُ مُعلِّقَةٍ، أو أوَّلَ قصيدةٍ كُتِبَتْ بماء الذهب وعُلِّقَتْ
على أَسْتار الكعبة!

وشدَّ ما كانت دهشةُ ذلك الجمهور لسماع ذلك الملك الكِنْدِيِّ
يُلقي بصوت فيه الحنين والذكريات:

** قَفَا نَبْكِ مِنْ ذَكَرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ **
** بِسَقَطِ اللَّوِيِّ بَيْنَ الدَّخُولِ فَخَوْمَلِ **

قد تَغَيَّرَ أَسْمَاءُ الْأَمَاكِنِ، لَكِنَّ أَمْرًا الْقَيْسِ وَضَعَ لِسَقَطِ اللَّوِيِّ
تَحْدِيدًا جُغْرَافِيًّا حَتَّى يَعْجَزَ كُرُورُ الدَّهْورِ عَنْ طَمْسِ ذَكَرِي ذَلِكَ
الْمَكَانِ.

ويتابع الشاعر واصفًا اليوم الصالح في «دائرة جُلْجُلِ»:

** أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحِ **
** وَلَا سِيَّامُ يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلْجُلِ **

** وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتِي **
** فَيَا عَجَبًا مِنْ كُورِهَا الْمُتَحَمِّلِ **

** فَظُلُّ الْعَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا **
** وَشَحْمِ كَهْدَابِ الدَّمَقْسِ الْمَقْتَلِ **

** وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخَذَرَ خَدَرَ عُيْزَةٍ **
** فَقَالَتْ: لَكَ الْوِيَلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي **

** تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَيْطُ بِنَا مَعًا **
** عَقَرْتُ بَعِيرِي يَا أَمْرًا الْقَيْسِ فَاَنْزَلِ **

وما أمدى ما كان فَرَحُ عُيْزَةٍ أو فَاطِمَةٍ ودموعها، حين سمعته في

ذَلِكَ الْحَشْدِ يَتَنَهَّدُ قَائِلًا لَهَا :

** أَفَاطِمُ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ **
** وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَزْمَعْتَ صَرْمِي فَأَجْلِي **
** وَإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ **
** فَسَلِّ ثِيَابِي عَنْ ثِيَابِكَ تَسْلُ **
** أَغْرِكْ مِنِّي أَنْ حُبَّكَ قَاتِلِي **
** وَأَنْكِ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ **
** تَسَلَّتْ عَمَايَاتُ الرِّجَالِ عَنِ الْهَوَى **
** وَلَيْسَ فَوْادِي عَنْ هَوَاكِ بِمُنْسَلِ . **

يَا لِدَمُوعِ الْمَرْأَةِ :

** وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي **
** بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلِ . **

* * *

إِلَى أَنْ يَقُولَ :

** وَبِضْءِ خِذْرِ لَا يُرَامُ خَبَاؤُهَا **
** تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوِهَا غَيْرَ مُعْجَلِ **
** تَجَاوَزْتُ أَحْرَاسَهَا لَدَيْهَا وَمَعْشَرًا **
** عَلَيَّ حِرَاصًا لَوْ يُسْرُونَ مَقْتَلِي **
** فَقَالَتْ : يَمِينُ اللَّهِ مَا لَكَ حِيلَةٌ **
** وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الْعِمَايَةَ تَنْجَلِي . **

مارية وامرؤ القيس

** بكى صاحبي لما رأى الدرب دُونَنَا **
** وَأَيَّقَنَ أَنَا لَاحِقَانِ بِقَصِيرَا **
** فقلتُ له: لا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا **
** نَحَاوِلُ مُلْكاً أَوْ نَمُوتُ فَتُعْذِرَا **
* * *

بيتان جميلان قالهما الشاعر الضليل، وهو في طريقه إلى القسطنطينية - في طريق خطأ قديم - مستنصراً قيصر الروم على قبائل ثارت بأبيه الملك وقتلته. مع أن امرأ القيس كان قد ثار لأبيه من تلك القبائل، وأنه زار القسطنطينية من قبل.

وكان الشاعر يومَ مقتل حُجْرٍ والده في ديار الشام يشرب الخمر مع بعض ندمائه، بعد أن غادر أباه الملك الكندي الذي أبى على ابنه شرب الخمر، والتغزل بشعره.

والمعروف أن لامرئ القيس قصائد شهيرة في الغزل، تميّزت بالسرد القصصي والإباحية.

والمعروف أيضاً أن امرأ القيس صاحبُ أول مُعلّقة كُتِبَتْ بماء الذهب وعُلِقت على أستار الكعبة، وقد ألقاها الشاعر في سوق عُكاظ وسط جماهير غفيرة من الناس، وهو أول من وقف واستوقف وبكى

واستبكى، في مُعلّته تلك والتي مطلعها:

** قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل **

** بسقط اللوى بين الدخول فحومل **

وعندما وصل إلى امرئ القيس نبأ مقتل أبيه، قال متمثلاً بقول خاله المهلهل:

«اليوم خمر وغداً أمراً»

ولما كان من غد، قفل الشاعر راجعاً وأخذ يستنجد القبائل ليثأر لمقتل والده، ثم قصد قيصر الروم يوستينيانوس في القسطنطينية.

لقي ابن حجر الكندي في عاصمة بيزنطية احتفاءً ووعداً، ولا سيما لدى ابنة القيصر ماريّة التي شغفها الشاعر العربي، كما شغفته هي.

وبقي في ضيافة القيصر ما يمكن أن يبقى ضيف كريم. وقضى في نزهاته وماريّة، سُويعاتٍ طيّباتٍ كان لها أثر حتى في معلّته. . أثر السجّجل، المرأة، التي كثيراً ما تردّت على لسان ماريّة، أو قبل ماريّة من جميلات بيزنطية، وارتسمت فيها وجوههن المشرقات، فقال الشاعر مفتخراً لدى فاطمة السمرّاء:

** مهفهفةً بيضاء غير مفاضة **

** ترائبها مصقولة كالسجّجل **

ولعلّ أمراً القيس، الجاهلي، أول من اجتراً وأدخل كلمة غريبة إلى اللغة العربية!

وبعد، فقد روي أن غيوراً في البلاط، ألهبت قلبه صداقة الشاعر وماريّة، فدرس للضيف في الحلل الفاخرة المهداة إليه من القيصر، نوعاً

من السُّمِّ طَلَى به حواشيها، فارتدى الشاعر العربي بعضاً من تلك
الحلل، وودّع يوستنيانوس، بعد أن تفرّط قلبه ليلة وداع ماريّة، مُديرًا
وجهه شطرَ نجد.

وبينما كان امرؤ القيس في طريق العودة، إذ جعل يُحس بقروحٍ
تبرز من حيث مسّ الثوب جسده، وبقواه تتلاشى . . فظنّها، بدأة ذي
بدء، حالة من حالات الفراق . . . لكنّه ما لبث أن شعر بانهايار
يجتاحه، فنظر إلى جبل على مقربة من أنقره، يُدعى جبل عسيب، وهو
غير عسيب نجد، فرأى فُويقَ سفحه قبراً جديداً جميلاً، فاستفسر عنه
ف قيل له: هو قبرُ حسناء غريبة الدار أدركتها المنية بذلك المكان، وهي
في ريعان العمر. فالتفت الشاعر إلى القبر، وقال هذين البيتين اللذين لم
يقُل بعد ذلك غيرهما:

** أيا جارتا إن المزار قريب **
** وإني مُقيم ما أقام عسيب **
** أيا جارتا إنا غريبان ههنا **
** وكل غريب للغريب نسيب **

ولفظ الشاعر الضليلُ أنفاسه الأخيرة، وهو لما يبلغ الأربعين من
عمره .

ويُقال ان يوستنيانوس حزن عليه حُزنًا شديدًا، وأقام له تمثالاً
شاهده المأمون عندما غزا تلك الديار .

عبلة وعنترة

وُلِدَ عنترة بن شدّاد العبسيّ، في نجد، العام ٦١٥م. ينتهي نسبه الى مُضَر ويكنى بأبي المُغَلِّس لغاراته في الغلس، ويُلقب بعنترة الفوارس لشجاعته، وعنترة الفلحاء لانشقاق شفته السفلى.

أمّه زُبيبة، سبهاها أبوه في احدى غزواته، وكانت حبشيّة سوداء. لم يعترف به أبوه في أول الأمر، لكنّه ادّعاه يوم أغار بعضُ أحياء العرب على بني عبس فقال له أبوه:

- كَرّ، يا عنترة.

قال عنترة:

- العبد لا يُحسن الكَرّ، بل يُحسن الحِلابَ والصرّ.

قال أبوه:

- كَرّ وأنت حُرّ.

فكرّ عنترة وأبلى بلاء حسناً، فادّعاه أبوه وألحقه بنسبه.

* * *

كان عنترة أشدّ أهل زمانه وأجرأهم فؤاداً، وأسخاهم يداً، أعفهم خلقاً ولساناً، فهو القائل:

** وأغضُّ طَرْفِي ما بدتُ لي جَارتي **
** حتى يُوَارِي جَارتي مأواها. **

ولما أنشدَ النبيُّ قوله:

** «ولقد أبيتُ على الطوى وأظلهُ» **
** حتى أنال به كريمُ المأكِلِ. » **

** قال:

«ما وُصِفَ لي أعرابيُّ قطُّ فأحببتُ أن أراه، إلا عنترة .»

* * *

أحبَّ عنترة ابنةَ عمِّه عبلة، فمانع أبوها مالك في تزويجه إياها،
وراح الشاعر المتيم يتنهد الشعر. هو لا يريد سواها، وهي عالمة بذاك:

** «ولئن سألتَ بذاك عبلةَ خبَّرتُ» **
** أنْ لا أريدُ من النساءِ سواها. » **

وعندما أبعدَ عنها، قال:

** أعاتبُ دهرًا لا يَلينُ لناصحَ **
** وأُخفي الجوى في القلبِ والدمعُ فاضحي **

** وقد أبعدوني عن حبيبِ أُحِبُّهُ **
** فأصبحتُ في قفرٍ، عن الأنسِ نازحِ. **

* * *

كان عنترة إذا تغزل تألم وشكا، وكان تاعساً في حبه شقياً، يطمع في عبلة فيبعده عنها والدها ويحاول استرضاءه فلا يفلح. وما أشدَّ ألمه ويأسه عندما يعرف أن ابنة عمه في أرض أعدائه، وينظر الى نفسه، فيرى أنه وحيدٌ تخلّى قومه عنه وجاروا عليه، ويتملكه اليأس فيهون عليه بذل نفسه.

قال مُستَهلاً معلقته:

** يا دارَ عبلةَ بالجواءِ تكلِّمي **
** وعمي صباحاً دارَ عبلةَ واسلِمي **
** دارُ لانسٍ غضيضٍ طرْفُهَا **
** طَوعِ العناقِ لذيذِ المُتَبَسِّمِ **
** وتحلُّ عبلةُ بالجواءِ، وأهلنا **
** بالحزنِ فالصَّمانِ فالمتَّكِلِمْ **
** حَيَّتْ من طَلَلِ تَقَادِمَ عَهْدُهُ **
** أَقْوَى وأَقْفَر، بعدَ أُمِّ الهَيْثِمِ **
** حلَّتْ بأرضِ الزائرينِ، فأصبحتُ **
** عِسْراً عليَّ طلابُك، ابنةَ محرمِ **
** علقتُها عَرْضاً، وأقتلُ قومَهَا **
** زِعْماً، لَعَمْرُ أبيك، ليسَ بِمَزْعَمِ **
** ولقد نزلتِ، فلا تظنيَّ غيرَهُ **
** مني بمنزلةِ المُحبِّ المُكْرَمِ **
** إن كنتِ أزمعتِ الفراقَ، فإنما **
** زُمْتُ ركبُكُم بليلى مُظْلِمِ **

** ما راعني إلا حمولة أهلها **
** وسط الديار، تسف حَبّ الخمخمة. **

* * *

ويقول عنتره في داليتة الشهيرة:

** بين العقيق وبين بُرقة نهمد **
** طلل لعبة مُستهلّ العهد **

** يا مسرح الأرام في وادي الحمى **
** هل فيك ذو شجن يروح ويغتدي؟ **

** في أيمن العلمين درس معالم **
** أوهي بها جلدي، وبان تجلدي **

** من كل فاتية تلفت جيدها **
** مرحاً، كسلفة الغزال الأغيد **

** يا عبل كم يشجى فؤادي بالنوى **
** ويروغني صوت الغراب الأسود **

** كيف السلو؟ وما سمعت حمائم **
** يندبن إلا كنت أول منشيد **

** ولقد حبست الدمع لا بخلأ به، **
** يوم الوداع، على رؤوم العهد. **

** وسألت طير الدوح: «كم مثلي شجاً **
** بأنينه، وحنينه المتردد؟» **

** نَادَيْتُهُ وَمَدَامَعِي مُنْهَلَةٌ: **
 ** «أَيْنَ الْخَلِيٍّ مِنْ الشَّجِيِّ الْمُكْمَدِ» **
 ** لَوْ كُنْتُ مِثْلِي مَا لَبِثْتُ مُلَوَّنًا، **
 ** وَهَتَفْتُ فِي غَصَنِ النَّقَا الْمُتَاوِدِ» **
 ** رَفَعُوا الْقَبَابَ عَلَى وُجُوهِ أَشْرَقَتْ **
 ** فِيهَا، فَغَيَّبَتِ السُّهَى فِي الْفَرْقَدِ **
 ** وَاسْتَوْقَفُوا مَاءَ الْعُيُونِ، بِأَعْيُنِ **
 ** مَكْحُولَةٍ بِالسِّحْرِ، لَا بِالْإِثْمِدِ **
 ** قَالُوا: «الَلِّقَاءُ غَدًا بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى» **
 ** وَاطْوَلْ شَوْقِ الْمُسْتَهَامِ إِلَى غَدِ **
 ** وَتَخَالُ أَنْفَاسِي، إِذَا رَدَّدْتُهَا **
 ** بَيْنَ الطُّلُولِ، مَحْتُ نُقُوشَ الْمَبْرَدِ. **

* * *

وَتُرَافِقُ عِبْلَةً عَنْتَرَةً فِي شَعْرِهِ الْحِمَاسِيَّ أَيْضًا وَفِي فَخْرِهِ، فَإِنَّمَا هُوَ يَفْتَخِرُ
 وَيُغَامِرُ مِنْ أَجْلِهَا:

** إِنْ تُغْدِيَنِي دُونِي الْقِنَاعَ، فَإِنِّي **
 ** طَبٌّ بِأَخْذِ الْفَارِسِ الْمُسْتَلْتِمِ **
 ** أَتْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتُ، فَإِنِّي **
 ** سَمَحٌ نَخَالِقِي، إِذَا لَمْ أَظْلَمِ **

* * *

** هَلَّا سَأَلْتَ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ **
** إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي **
** يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنِّي **
** أَغْشَى الْوَغَى، وَأَعَفُّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ **

* * *

** فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لَأَنْهَا **
** لَمَعْتُ كِبَارِقِ ثَغْرِكَ الْمُتَبَسِّمِ. **

* * *

وَجَدْتُ عِنْتَرَةَ الْفَوَارِسِ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي، لِيَمْحُو بَيَاضَ فِعَالِهِ سَوَادَ
لَوْنِهِ، فَغَامَرَ لِأَجْلِهَا، وَلاَقَى أَشَدَّ الْأَهْوَالِ حَتَّى بَلَغَ أَمْنِيَّتَهُ، فَأَلْحَقَهُ أَبُوهُ
بِنَسَبِهِ وَرَوْجَهُ عُمَةُ ابْنَتُهُ عِبِلَةٌ.

عبدة وبشار

كان بشار بن بُرد عظيم الخلق، مجدوراً طويلاً، جاحظ
الحدقتين، وكان أقبح الناس عُمىً، وأفظعهم منظراً، قالت له امرأته
ذات يوم:

- يا أبا مُعَاذ، ما أدري لِمَ يهابك الناس مع قبح وجهك.

فأجابها:

- ليس من حسنه يهاب الأسد!

وكان بشار يُلقَّب المرعث. قيل وإنما سمي بذلك لقوله:

** قال	رِيمٌ	مُرَعَّثٌ	**
**	ساحر	الطرفِ	** والنَّظَرُ
** لست	والله	نائلي	**
**	قلتُ	او يغلب	** القدرُ
** أنتَ	إنْ	رُمْتُ	** وَضَلْنَا
**	فانجُ	هل تُدركُ	** القمرُ؟

قيل لبشار:

بينما تقول شعراً تُثير به العقول والألباب مثل قولك:

** إذا ما غضبنا غضبةً مُضِرَّةً **
** هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ تَطَرُّ الدُّمَاءِ **
** إذا ما أَعْرَنَّا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ **
** ذَرَى مَنِيرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمًا... **

تقول يا أبا معاذ:

** رَبَابَةٌ رَبَّةٌ الْبَيْتِ **
** تَصَبُّ الْخَلُّ فِي الزَّيْتِ **
** لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ **
** وَدِيكَ حَسَنُ الصَّوْتِ **

فأجاب بشار:

- أجل، ولكن لكل شيء وجهٌ وموضع. فالقول الأول جدٌ، وهذا قلته في ربابة جاريتي، وأنا لا آكل البيض من السوق، وربابة لها عشر دجاجات وديك، وهي تجمع لي البيض، فهذا عندها من قولي أحسن من: «قفا نبيك من ذكرى حبيب ومنزل» عندك أنت...

* * *

قال بشار:

** يُزْهِدُنِي فِي حُبِّ عُبْدَةٍ مَعَشَرُ **
** قُلُوبُهُمْ فِيهَا مَخَالِفَةٌ لِقَلْبِي **
** فَقُلْتُ دَعُوا قَلْبِي وَمَا اخْتَارَ وَارْتَضَى **
** فَبِالْقَلْبِ لَا بِالْعَيْنِ يُبْصَرُ ذُو الْحُبِّ **
** فَمَا تُبْصِرُ الْعَيْنَانِ فِي مَوْضِعِ الْهَوَى **
** وَلَا تَسْمَعُ الْأُذُنَانِ إِلَّا مِنَ الْقَلْبِ **

وله في عبدة كذلك :

** ألا طرد الهوى عني رقادي **
** فحسبي ما لقيتُ من الشهادِ **
** لعبدة إن عبدة تيمتني **
** وحلّت من فؤادي في السوادِ **

* * *

يقول بشار في قصة معرفته لعبدة :

كان بعض النساء يحضرن مجلسي ، إذ سمعت كلام عبدة
فعشقتها ، فدعوت غلامي وقلت له :

إني قد علقتُ امرأةً ، فاذا تكلمتُ عرفتك ، وانظر مَنْ هي
فاعرفها ، فاذا انقضى المجلس وانصرف أهله فاتبعها وكلمها وأعلمها
أنني محبٌّ لها ، وأنشدّها هذه الأبيات ، وعرفها أنني قلتها فيها :

** قالوا يَمَن لا ترى تهذي فقلتُ لهم **
** الأذنُ كالعين تُوفي القلبَ ما كانا **

** ما كنتُ أوَّلَ مشغوفٍ بجاريةٍ **
** يلقي بلقيانها رَوْحاً ورِيحاناً **

** يا قومُ أذني لبعضِ الحيِّ عاشقةٌ **
** والأذنُ تعشق قبلَ العينِ أحياناً . **

* * *

ومن جميل شعر بشار بن برد في عروس شعره عبدة ، هذه
الأبيات .

** لم يَظُلْ ليلي ولكن لم أَنَمْ **
 ** ونفى عني الكرى طيفُ أَلَمٍ **
 ** رَوَّحي يا عبدَ عني واعلمي **
 ** أني يا عبدَ من لحمٍ ودمٍ **
 ** وإذا قلتُ لها جُودي لنا **
 ** خرجتُ بالصمتِ عن لا ونَعَمٍ **
 ** إنَّ في بُردِي جسمًا ناحلاً **
 ** لو تَوَكَّأتِ عليه لانهدمُ **
 ** خَتَمَ الحُبُّ لها في عُنُقِي **
 ** مَوْضِعَ الخَاتَمِ من أهلِ الذمِّ. **

بشينة وجميل

وُلد جميل بن معمر العُدْرِيّ العام ٧٠١م. واشتهر بحبه لابنة عمه
بشينة، فعُرفَ بجميل بُشينة.

كانا يُقيمان في وادي القرى، وذات يوم ذهب جميل يرعى جماله
الصغيرة على سفح وادي بغض وهو بعدُ ولد، وإذا ببشينة ترشق الجمال
بالحصى فغضب جميل وسبّها... فأعادت له الكيل كيلين.

وجاء الليل، ورنّة صوتها، على الرغم مما فيها من سباب، ملأت
قلب الشاعر ودُجَاهَ عذوبةً وأحلاماً، واستعذبت البُنيّةُ بشينة تلك
النبرات في صوت شاتمها. فسهرت وعلى ثغرها بسمّة حيرى، وفي
صدرها قلبٌ كأنّ دقاته قد تغيّرت.

وهكذا يكون الحبُّ أحياناً زهرةً نبتت في خلاف... وذكرها
جميل ذات يوم قائلاً:

** وأوّلُ ما قاد المودةَ بيننا **
** بوادي بغضٍ يا بُشَيْنَ سِبَابُ **
** فقلنا لها قولاً فجاءت بمثله **
** لكلِّ كلامٍ يا بشينَ جوابُ. **

* * *

وقد يفترق الحبيبان حين من حياتهما الدنيا، فيفرح الواشون

والحاسدون، فتغمر الكآبة قلب الشاعر الوفيّ ويشكو ويتذكر ويتنهد.

** لقد فرح الواشون أن صرمت حبل

** بثينة أو أبدت لنا جانب البخل

** يقولون مهلاً، يا جميل، وإنني

** لأقسم ما لي عن بثينة من مهل

** أحلماً؟ فقبل اليوم كان أوانه

** أم أخشى؟ فقبل اليوم أوعدت بالقتل

** إذا ما تراجعنا الذي كان بيننا

** جرى الدمع من عيني بثينة بالكحل

** ولو تركت عقلي معي ما طلبتها

** ولكن طلابها لما فات من عقلي

** فيا ويح نفسي حسب نفسي الذي بها

** ويا ويح أهلي، ما أصيب به أهلي

** أجذك لا ألقى بثينة مرة من الدهر

** إلا خائفاً أو على رجل

** خليّ فيما عشتما هل رأيتما

** قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

* * *

** أبيت مع الهلاك ضيفاً لأهلها

** وأهلي كرام مؤسعون ذوو فضل

** ألا أيها البيت الذي حِلَّ دونه **
** بنا أنت من بيتٍ وأهلك من أهلٍ **
** كلانا بكى أو كاد يبكي صباةً **
** إلى إلفه واستعجلتْ غبرةً قبلي **

* * *

** نأيتُ فلم يُحْدِثْ لي النَّايُ سلوةً **
** ولم أَلِفْ طولَ النَّايِ عن خُلَّةٍ يُسْلِي. **

* * *

ونصح لجميل أصدقائه بغيةً قد يُصيبُ فيها بعضُ الثروة، فقال
وهو يُزعم السفر إلى مصر:

** ألا ليت ريعانَ الشباب جديداً **
** ودهراً تولى يا بُنَيَّ يعودُ **
** فنَغْنِي كما كنا نكون، وأنتمْ **
** قريبٌ، وإذا ما تبذَلين زهيدُ **
** وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ قولها **
** وقد قُرِبَتْ نِضْوِي: «أَمصرَ تُريدُ؟» **
** ولا قَوْلها: «لولا العيونُ التي ترى **
** أَيْتُكَ، فاعذرنِي، فَذَتُكَ جدودُ» **

* * *

** يموتُ الهوى مني إذا ما لقيتها **
 ** ويحيا إذا فارقتها فيعودُ **
 ** يقولون جاهدْ يا جميلُ بغزوةٍ **
 ** وأيَّ جهادٍ غيرهنَّ أريدُ **
 ** لكلِّ حديثٍ بينهنَّ بشاشةٌ **
 ** وكلِّ قتيلٍ بينهنَّ شهيدُ **

* * *

وما ألطف وأبرأ ما يرضى به جميل من بشينة :
 ** وإني لأرضى من بُشينةٍ بالذي **
 ** لو ابصره الواشي لقرتْ بلابله. **

* * *

وجميل الفقير، ابن البادية، الذائب إخلاصاً في حبه الوحيد،
 ينسى دنياه، وقد لا يذكر منها إلا وجه بشينة الجميل العفيف، ولا يعدُّ
 اليوم من حياته إن لم ير فيه ذلك المحيّا البهي :

** إني لأحفظُ غيبكُم ويسرني **
 ** إذ تُذكرين بصالحٍ أن تُذكرِي **
 ** ويكون يومٌ لا أرى لك مُرسلاً **
 ** أو نلتقي فيه عليَّ كأشهرٍ **
 ** يهواك ما عشتُ الفؤادُ، وإن أمتُ **
 ** يتبعُ صداي صداك بين الأقبُر . **

* * *

وذاث يوم، بينما كانت بثينة واحدى صديقاتها في وادي القرى،
والحديث بدور على جميل، وآخر ما وصل إليهما من قصائده، وهي
الأبيات التي تفيض وفاءً وإخلاصاً:

** فلربّ عارضةٍ علينا وصلّها **
** بالجدّ تخلطه بقولِ الهازلِ **
** صادتُ فؤادي، يا بشينَ حبالكم **
** يومُ الحُجُونِ وأخطأتك حبائلي **
** حاولتني لأبتّ جبلَ وصالكم **
** مني، ولستُ وإنْ جهَدنَ بفاعلِ **
** يَعْضَضُنَ من غيظٍ عليّ أناملاً **
** ووددتُ لو يعضضنَ صمّ جنادلِ **

بينما كانت بثينة تُردّد هذه الأبيات وصديقتها... إذا بصوتٍ
كئيبِ الهمسات ينسربُ بين أشجار النخيل، وتتردّدُ أصداؤه في مُنحنياتِ
الوادي من بعيد:

** ولقد أجرّ الذيلَ في وادي القرى **
** نشوانَ بين مزارعٍ ونخيلِ **

فتقول بثينة:

- يا ويلتاه! ما هذا الصوت؟ إنه يحمل لي نبأً جلاً... أحسُّ
قلبي يقف عن الحركة!

** صدع النعيُّ وما كُنّي بجميلِ **
** وثوى بمصرَ ثواءَ غيرِ قفولِ **

- رَفَقاً بقلبي ، يا صاحب الصوت ، يكفيه ما يذوب ويحترق مَنْ
أنت وما وراءك؟

** قُومي بثينةُ فاندبي بعويل **
** وابكي خليلك دونَ كلِّ خليلٍ **
وتقول بثينة وهي تسقط على الأرض:

وَ اجميلاه!

ويقول الرجل لصديقتها:

أسعفيها بالماء يا أختي . . . مسكين قلبك ، يا بثينة ، مات شاعره ،
مات جميل ، أرسلني اليها وهو بين أنفاسه الأخيرة لأفعلَ ما فعلتُ ،
لئلا يقتلها وَقْعُ نعيه المفاجيء ، وهذا آخر ما تنهد لها من شعر ، وهذه
حُلَّتُهُ ذاتها ، رحمتُ الله عليك يا جميل ، يا قُمْرِيَّ البوادي والحواضر ،
لقد تعطلتُ أطيبُ نعمةٍ في الدنيا .

وتعودُ بثينةُ الى وَعِيهَا فتتهد قائلة .

** وَإِنَّ سُلُويَ عن جميلٍ لَسَاعَةً **
** من الدهر ما حانت ولا حانَ حينها **
** سواءٌ علينا يا جميلُ بنُ مَعْمَرٍ **
** إذا مِتَّ بأساء الحياة وَلَيْنَهَا . **

زينب وعمر

عمر بن أبي ربيعة، قُرَشِيٌّ مَخْزُومِيٌّ، ابن أسرة غنيّة. شاعر أمويّ عاش في القرن السابع ميلادي، وأدرك أوائل القرن الثامن. يُكنى أبا الخطّاب. من ألقابه: ذو الشّيتين. هو في تلك المرحلة، حامل لواء الغزل الأباحي، مُتَنَقِّلاً بعاطفته وشعره المرح من وجه حسناء الى وجه حسناء: عرائس شعره كثيرات، وله مع كل منهن حوادث طريفة:

بعد قوله بفاطمة بنت عبد الملك، يوم رجوعها من الحجّ: «ليتني متُّ قبل يوم الرحيل»، ها هو يقول بزينب بنت موسى، وقد وصفها له ابن أبي عتيق، فشغل قلبه، ذلك القلب المخلص للجمال أكثر منه للجماليات:

** يا خيلي من ملام دعاني **
** وألّا الغداة بالأظعان **
** لا تلوّما في آل زينب إنّ **
** القلب رهنّ بآل زينب عاني **
** ما أرى ما بقيت أن أذكر الموقف **
** منها بالخيف إلاّ شجاني **
** لم تدع للنساء عندي نصيباً **
** غير ما قلت مازحاً بلساني **

فقال له ابن أبي عتيق :
- أبابنة عمي أيضاً، يا عمر؟
فأجاب عمر في قصيدة ثانية :

** لا تَلْمِني عَتِيقُ حَسبي الذي بي **
** إنَّ بي يا عتيقُ ما قد كفاني **
** لا تَلْمِني وانتَ زَيْنْتها لي **
** أنت مثلُ الشيطانِ لِلإنسانِ **
** إنَّ بي داخلاً من الحبِّ قد أبلى **
** عظامي، مكنونهُ، وبراني **
** لو بعينيك يا عتيقُ نظرنا **
** ليلةَ السفحِ قرَّتِ العينانِ **
** إذ بدا الكَشْحُ والوُشاحُ من الدرِّ **
** وفَضل فيه من المَرْجانِ **
** قد قلى قلبي النساءِ سواها **
** بعدما كان مُغرماً بالغواني **

أفلا تصدِّقه الحسناء عندما تسمع مثل هذه اللوعة؟ أو مثل هذا
الردِّ للكاشحين :

** أيها الكاشح المَعيرُ بالصَّرمِ **
** تَزحزَحُ فما لها الهجرانُ **
** لا مطاعُ في آلِ زينبَ فارجعُ **
** أو تكلِّمُ حتى يملَّ اللسانُ **

** كيف صبري عن بعض نفسي وهل
** يصبرُ عن بعضِ نفسه الانسانُ **

وها هو يزهو بنفسه هذه، لأن الجميلات هُنَّ اللواتي يطرحن في
دربه الشِّبَاكُ، وهذا شيءٌ من أحابيل زينب:

** مازال طرفي يحارُّ إذ برزتُ
** حتى رأيتُ النقصانَ في بصري **

** أبصرتها ليلةً ونسوتها
** يمشين بين المقام والحجرِ **

** قالت لِتَرِب لها تحُدِّثها
** لِنُفْسِ دَن الطوافِ في عمرِ **

** قُومي تصدِّي له لِيعْرِفنا
** ثم اغمزيه يا أختُ في خَفَرِ **

** قالت لها: قد غمزتهُ فأبي
** ثم اسبطرتُ تسعى على أثرِ **

ومن أوصاف ابن أبي ربيعة بزینب، وصفه الحسيّ إذ يقول:

** خَدَجَةٌ إذا انصُرَفَتْ
** رأيت وشاحها قلعا **

** وساقاً تملأ الخلخال
** فيه تراه مَخْتَنَقاً **

وإن لم تتصدَّ له الحسناء، فهو يُرسل جاريته إليها:

** لقد أرسلتُ جاريتي **
 ** وقلتُ لها خُذي حَذْرًا **
 ** وقولي في مُلاطفَةٍ **
 ** لزينبَ: نَوِّلي عُمَرَا **
 ** فهزّتُ رأسَهَا عَجَبًا **
 ** وقالت: مَنْ بذا أَمْرًا؟ **
 ** أهذا سِحْرُكَ النسوانِ **
 ** قد خَبَّرَنِي الخَبْرَا. **

فتوافيه الى أحد الشُعَاب فيأخذهما المطر، فيكره ان تبتل ثيابها
 ويُقال لها: لو كنت في المكان الآمن لاستترت بسقائفه.. فسترها عمر
 بكساء خَزَّ كان عليه، ثم بعد ذلك يذكر براءة الموقف وقمرَاء غِبَّ
 المطر، وتدثرهما بالثوب المورّد:

** وَمَنْ لِسَقِيمٍ يَكْتُمُ النَّاسَ مَا بِهِ؟ **
 ** لزينبَ نجوى صدره والوساوسُ **

الى قوله:

** ولستُ بناسٍ ليلةَ الدارِ مجلساً **
 ** لزينبَ، حتى يعلو الرأسُ رَامِسُ **
 ** خلاءً بدتُ قَمْرَاوَهُ وتكشَّفَتْ **
 ** دُجُتُّهُ وغابَ مَنْ هو حارسُ **
 ** وما نلتُ منها محَرَمًا غيرَ اننا: **
 ** كلانا من الثوب المورّد لابسُ **

** نَجِيّينَ نَقْضِي اللّهُوَ فِي غَيْرِ مَأْثَمٍ
** وَإِنْ رُغِمَتْ مَ الْكَاشِحِينَ الْمَعَاطِسُ . **

الثرياً وعمر

كانت الثرياً من أروع حسناوات زمانها، ولعلها هي التي حفرت في قلب عمر، أعمق الآثار، كما هي السبب أيضاً في لقبه بذي الثنيتين، إذ كان ابن أبي ربيعة يمازحها أمام صديق، فضربته بقفا كفها فجاءت الضربة على فمه، وأصابعها مَحْتَمَة، وكانت الضربة أشد مما أرادت، فَكُسِرَ جُزْءان من سنّيه الأماميتين، فأصلحهما عمر عند الطبيب، فعادتا أجمل مما كانتا، في نظر الثرياً على الأقل، فَلَقِبَ بذي الثنيتين.



كانت الثرياً تَصِيفُ بالطائف، وعمر يتنَسَّم أخبارها من الركبان، وبينما هو ذات يوم يسأل كمألوف عاداته، عن أخبار الطائف، قال له أحد المُكَارِين ناقلي الفاكهة من ذلك المصيف: سمعنا قبل الرحيل ضياعاً ونحيباً على قُرْشِيَّة فاتنا اسمها، ولعله اسم نجمٍ في السماء... فانطلق عمر بجواده في أقرب الطرق وقلبه يقفز قفزاً حتى وصل مهشَّم الثياب والوجه، فاذا الثرياً في بهوها تشعّ كألف شمس، وتنتظر انبلاج شاعرها... فَبَهَّتْ هو وضحكت هي قائلة:

أساءك، يا عمر أننا لم نمت؟!!

فعلم عندئذٍ أنها هي التي كلّفت ذلك المكارى لتختبر ما لها

عنده! وفي ذلك يقول ابن ابي ربيعة في قصيدة:

** تشكى الكُمَيْثُ الجَرِيَّ لما جَهِدَتْهُ **
** وبينَ لو يَسطِيعُ أن يتكلَّمَا **
** فقلتُ له إن القَ للعين قُرَّةً **
** فهان عليَّ أن تَكلَّ وتسأما **
** لذلك أذني دون خيلي رِبَاطَه **
** وأوصي به أن لا يهَان، ويُكرما. **

* * *

غيرَةُ الثُريَّا على عمر، لا حَدَّ لها، ولا سِيَّما عندما ترى الغواني
يستبقنَ إليه، ويلتفننَ حوله، أو ينظم بهنَّ شيئاً. وحين بلغتها إحداهنَّ
ما قال في رملة بنت عبد الله، التي أصبحت زوجته، جُنَّ جنون الثُريَّا
وقالت: لأَعْرِفَنَّهُ نفسه!

وبالفعل، عرّفته نفسه إذ إنها امتنعت عليه، وعبثاً حاول
وتوسّل، فضاقَتْ به الأرض واسودّت الدنيا بعينه وحتى أم نوفل الماهرة
آبَتْ بالخِيَّات. ومن قوله وهو في تلك الحالة.

** قال لي صاحبي ليعلم ما بي **
** أَتَحِبُّ القَتُولَ أختَ الربابِ **
** قلتُ وجدي بها كَوَجْدِكَ بالعَذْبِ **
** إذا ما مُنِعتَ بَرْدَ الشَرابِ **
** مَن رسولي الى الثُريَّا فيني **
** ضقتُ ذرعاً بهجرها والكتابِ؟ **

** غصبتني تَجاجةُ المسكِ عقلي **
 ** فسلوها ماذا أحلَّ اغتصابي **
 ** أبرزوها مثلَ المهةِ تهادي **
 ** بين خمسٍ كواعبٍ أترابِ **
 ** وهي مكنونةٌ تحيرُ منها **
 ** في أديمِ الخدينِ ماءُ الشبابِ **
 ** ثم قالوا: تحبُّها! قلت: بهراً **
 ** عدَدَ الرملِ والحصى والتُّرابِ. **

وعندما بلغت هذه القصيدة ابن أبي عتيق، قال:

إياي يعني عمر في البيت الثالث... والله لا أذوق أكلاً أو أصلحَ بينهما.

وشخص الى مكة ودق الباب على عمر دون أن ينزل عن
 راحلته، فخرج عمر وسلّم، فقال ابن أبي عتيق:
 أنا رسولك الى الثريا، فاركب إليها .

وَقَدِمَا الطائف فدخل ابن أبي عتيق وسلّم، فهشّت له الثريا
 وفرحت، وعندما ذكر عمر عبست وتمنّعت أن تمسح شيئاً عنه، وبعد
 أخذٍ وردّ، قال:

جشمَني عمر السفر من المدينة فجئتُك مُعترفاً لك عنه بِذَنْبٍ هو
 براءٌ منه، فدعيني من العناد والتعنّت، وهو كما تعرفينه من الشعراء...
 وهؤلاء يقولون ما لا يفعلون... ولو رأيت نُحوْلَهُ واسوداد الدنيا
 بعينه، ودموعه وتأوّهه على لفّة رضا من ثريّاه...

فقاطعته دامعة:

بروحي هو، إذهب وَعُدْ به .

فوقف ابنُ أبي عتيق ونادى الواقف خارج الباب :

أدخلْ واعتذر عن إساءاتك لأحلى الناس !
وكان تراضٍ عاد به للدنيا رونقٌ ومجلسٌ تَمَنَّتِ الدراري لو كنَّ من
جُلَاسِهِ .

* * *

ذات يوم ركب عمر الى اليمن في أمر عرض له ، فتزوَّجت الثريا
سهيل بن عبد العزيز، في غياب شاعرها، وخرجت الى مصر . فلما عاد
عمر وبلغه الخبر طار صوابه ، ومن قوله :

** أيها المنكح الثريا سهيلاً **
** عَمَرَكَ الله كيف يلتقيان **
** هي شاميةٌ إذا ما استقلت **
** وسهيلٌ إذا استقل يمانى . **

ولما عادتِ الثريا وسمعت هذين البيتين ، ذابت دُموعاً على أجمل
ما كان في حياتها من حبٍّ . . . ولا سيما عندما أرسل عمر إليها هذه
الآيات :

** كتبْتُ إليك من بلدي **
** كتابَ مُؤَلِّهِ كَمِدٍ **
** كئيبٍ واكفِ العينين **
** بالحسرات مُنْفَرِدٍ **
** يُورِّقه هيبُ الشوق **
** بين السُّحْرِ والكَبِدِ **

** فِيمَسِكُ قَلْبَهُ بِيَدٍ **
** وَيَمْسَحُ عَيْنَهُ بِيَدٍ. **

ولما قرأتها الثريا بكث بكاءً مرأً وتمثلت:

** بِنَفْسِي مَنْ لَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ **
** وَمَنْ هُوَ، إِنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهَ، ضَائِعٌ! **

سُكينة وعمر

آمنة، الملقبة بسكينة، اشتهرت بجمالها الجذاب وذكائها ومزجها الجذّ بالهزل، وقوة إرادتها وبراعتها في النقد، وبمبتدائها الأدبي الذي جاءت بمولّدات كأنهنّ الأقمار، وتردّد عليه الفرزدق وغيره من الشعراء، وعديدون من المغنين كابن سريج والغريض ومعبد وحُنين الذي كان يُغنيّ على سطحها فسقط به السطح لكثرة المزدحمين، وسلم الجميع إلّا حُنيئاً، وكانت سُكينة قد دعت من العراق الى الحجاز، فقالت:

- كأنا والله كنا نسوقه الى منيته.

كانت سُكينة من أحسن الناس شعراً وجمتها تُسمّى السُكينيّة.

تنافست سُكينة مرةً وعائشة بنت طلحة، في أيّ منهما هي الأجل، وإذا بعمر بن أبي ربيعة هو الحكم بينهما، وهما عزيزتان عليه، ولم يعرف المسكين كيف يتنصّل، فاضطرّ أن يصدق وقال:

- أمّا أنتِ يا عائشة، فأجل من سكينة، وأمّا سكينة فأملح منك.

صاحت سكينة:

- فضيت لي والله!

وليس غريباً أن تغضب عائشة لهذه النتيجة وإن يغتمّ عمر بصدقه.

وكانت سَكِينَةُ ذاتَ يومٍ مع صواحب لها من أهل المدينة
فتذاكرن ابن أبي ربيعة وتشوّقن إليه، فقالت أنا لكنّ به، فأرسلت إليه
وواعدته «الصورين» ذاكرة الليلة والوقت، فوافاها، وطال الحديث حتى
لاح فجرٌ تنهّد عمر بعده هذه الأبيات:

** قَالَتْ سَكِينَةُ وَالدَمُوعُ ذَوَارِفُ **

** مِنْهَا عَلَى الْخَدَّيْنِ وَالْجَلْبَابِ **

** لَيْتَ الْمَغِيرِيِّ الَّذِي لَمْ أَجْزِهِ **

** فِيمَا أَطَالَ تَصَيِّدِي وَطَلَابِي **

** كَانَتْ تَرْدُ لَنَا الْمَنَى أَيَّامَنَا **

** إِذْ لَا نُلَامُ عَلَى هَوًى وَتَصَابِ **

** خُبِّرْتُ مَا قَالَتْ فَبِتَّ كَأَنَّمَا **

** يُرْمَى الْحِشَاءُ بِنُؤَافِذِ النُّشَابِ **

** أَسْكَنَ مَا مَاءُ الْفُرَاتِ وَطَيْبُهُ **

** مِنِّي عَلَى ظَمَاءٍ وَفَقْدِ شَرَابِ **

** بِأَلَدٍ مِنْكَ وَإِنْ نَأَيْتِ وَقَلَمًا **

** تَرَعَى النِّسَاءُ أَمَانَةَ الْغِيَابِ **

** إِنْ تَبَذَّلِي لِي نَائِلًا أَشْفِي بِهِ **

** دَاءَ الْفُؤَادِ فَقَدْ أَطَلَّتْ عَذَابِي **

** وَعَصِيْتُ فَيْكَ أَقَارِبِي وَتَقَطَّعْتُ **

** بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ عُرَى الْأَسْبَابِ **

** وتركتني لا بالوصال مُتَعَاً **
** منهم ولا أسعفتني بثوابٍ **
** فقعدتُ كاللهريق فضلةً مائه **
** في حَرٍّ هاجرةٍ لِلْمَعِ سَرَابٍ. **

عائشة وعمر

عائشة بنت طلحة، كانت روعة من روعات الجمال. قال أبو هريرة عندما رآها تمرّ في المسجد قاصدة أمّ المؤمنين سميتها: - سبحان الله كأنها من الحور العين.

وقالت عزة الميلاء وهي امرأة آية بالجمال، وشهادة المرأة بالمرأة مفحمة:

- رأيتُ عائشة مُقبلةً مُدبرةً فهي ناعمةٌ ملساءُ الترائب، نقيّة الثغر وصفحة الوجه، فرعاء الشعر لقاء...

وكانت عائشة عفيفة كثيرة الدلال، شديدة الكيد للنساء والرجال معاً.

غضبت مرةً من زوجها مصعب بن الزبير فشكاها لأشعب، واعدأ إياه بعشرة آلاف درهم إن جعلها ترضى، فجاءها الشاعر فرجاها أن ترضى، بعد أن أخبرها بجائزته، فلم تفعل، فأعاد الكرة قائلاً:

- ارضي عنه ريثما يُعطيني المكافأة، ثم عودي الى ما اعتدته من سوء طباع.

ضحكت عائشة ورضيت...

* * *

وجاءت عائشة مرّةً الى هشام في أمر من أمورها، فدعا مشايخ
بني أميّة الى سهرة قائلًا:

- عائشة عندي .

ولم يُذكر شيءٌ من أيام العرب وأخبارها وأشعارها إلا أفاضت
عائشة معهم فيه، وما طلع نجم أو غور إلا سمّته . فقال هشام:

- أمّا أخبار العرب وأيامها وأشعارها، فلا أنكر عليك معرفتها،
ولكن أنى لك المعرفة بالنجوم؟

قالت:

- أخذتها عن خالتي عائشة .

فأمر لها هشام بمائة ألف درهم .

* * *

كانت عائشة في جاءٍ وبسطة من المال يحسب حسابها الأمراء
والأميرات في قريش: ذات يوم أذن عبد الملك بن مروان بالحج لزوجه
عاتكة بنت يزيد بن معاوية قائلًا:

- استظهري فعائشة بنت طلحة تحجّ .

جاءت عاتكة بهيئة جهدت فيها... ولما كانت بين مكّة والمدينة
إذا بموكب يضغطها ويفرق جماعتها، فقالت هي عائشة، فقالوا: هي
خازنتها، ثم جاء موكب أعظم فقالت: ها هي . فقيل: بل هذه
ما شطتها . ثم موكب ضخّم وكوكبة فيها ثلاثمائة راحلة عليها القباب
والهوادج، فقالت عاتكة:

- ما عند الله أفضل وأبقى .

* * *

كانت عائشة في الحج وكان عمر طبعاً، وظلّ حتى رآها ترمي
الجَمَارَ سافرة، فبهت لجمالها الخلاب، فقالت له:

ـ لقد والله كنت لهذا منك كارهة.

فقال عمر في قصيدة، منها:

** غراء يُعِشِي النَاضِرِينَ بَيَاضُهَا **
** حوراء في غُلواء عيشٍ مُعْجِبِ **
** إِنَّ الَّتِي مِنْ أَرْضِهَا وَسَمَائِهَا **
** جَلِبَتْ لِحَيْنِكَ لَيْتَهَا لَمْ تُجَلِبِ **

* * *

ذات يوم، أرسل أبو الخطّاب صديقه المغنيّ الغريض، لِيُغَنِّيَهَا
هذه الأبيات:

** أَجْمَعْتَ خُلَّتِي مَعَ الْفَجْرِ بَيْنَا **
** جَلَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْوَجْهَ زِينَا **
** أَجْمَعْتَ بَيْنَهَا وَلَمْ نَكُ مِنْهَا **
** لَذَّةَ الْعَيْشِ وَالشَّبَابِ قُضِينَا **
** فَتَوَلَّيْتُ حُمُولَهَا وَاسْتَقَلَّتْ **
** لَمْ نَنْلُ طَائِلًا وَلَمْ نَقْضِ دَيْنَا **
** وَلَقَدْ قُلْتُ يَوْمَ مَكَّةَ لَمَّا **
** أُرْسِلْتَ تَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَيْنَا **
** أَنْعَمَ اللَّهُ بِالرَّسُولِ الَّذِي أُرْسِلَ **
** وَالْمُرْسَلِ الرِّسَالَةَ عَيْنَا **

فضحكت عائشة قائلة :

- وأنعمَ الله بك يا غريض عينا وبابن أبي ربيعة عينا.

وكانت مكافأة الغريض من عمر خمسة آلاف درهم ومن عائشة خمسة آلاف.

* * *

توَعَدَ يوماً بنو تميم ابن الخطّاب بعائشة، فوعدهم ألاّ يذكرها في
شعر أبداً، وكان يَكْنِي عن اسمها، ويُبْلِغها ما يريد على أَعْوَاد المغنين،
ومن قوله بها :

** مَن لِقَلْبٍ أَمْسَى رَهِيناً مُعْنِيَّ **
** مُسْتَكِيناً قَدْ شَفَّهُ مَا أَجْنَا **
** إِثْرَ شَخْصٍ نَفْسِي فَدَتْ ذَاكَ شَخْصاً **
** نَازِح الدار بالمدينة عَنَّا **
** إِنْ أَرَاهُ وَاللهُ يَعْلَمُ يَوْماً **
** مِنْتَهَى رَغْبَتِي وَمَا أَتْنَى **
** لَيْتَ حَظِّي كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ مِنْهَا **
** وَكَثِيرَ مِنْهَا الْقَلِيلُ الْمَهْنَا **
** خَبَرِينَا بِمَا كَتَبْتَ إِلَيْنَا **
** أَهْوَ الْحَقُّ أَمْ تَهَزَّاتِ مِنَّا **
** مَا نَرَى رَاكِباً يُخْبِرُ عَنْكُمْ **
** أَوْ يَرِيدُ الْحِجَازَ إِلَّا حَزَنًا **

** ثم ما تُذكرين للقلب إلا **
** زيد شوقاً إليكم واستجناً. **
ومن قوله بعائشة أيضاً:

** ليس حبٌ فوق ما أحببته **
** غير أن أقتل نفسي أو أُجن. **

ويُقال انها هي التي نظم بها عمر بن ابي ربيعة رائيته الجميلة، بما فيها من سرد قصصي رشيق، وعذوبة تعبير ومواقف تشد بالقلوب اليها شداً.

ويُروى انها هي أيضاً لمحت الى ذلك وقد قضت احدى ليالي الهم وحيدة، ان عمر لجاهل بليتي هذه إذ يقول:

** وأعجبها من عيشها ظلّ غرفةٍ **
** وريّان ملثف الحدايق أخضرٌ **

** ووالٍ كفاهما كلّ شيء يهما **
** فليست لشيء آخر الليل تسهر. **

أمّا هذه الرائيّة المشهورة، فهذا بعض أبياتها:

** أمّن آلِ نَعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبَكِّرٌ **
** غداةَ غَدٍ أم رائجٌ فمُهَجِّرٌ **

** تهيم الى نَعْمٍ فلا الشمل جامع **
** ولا الحبل موصول ولا القلب مُقَصِّرٌ **

** ولا قرب نَعْمٍ إن دنت لك نافعٌ **
** ولا نأيا يسلي ولا أنتَ تصبرٌ **

الى ان قال:

** وليلة ذي دوران جشمتني الثرى **
** وقد يجشم الهول المحبَّ المغرَّ **
** فبتُّ رقيباً للرفاق على شفا **
** أحاذر منهم مَنْ يطوف وأنظرُ **
** إليهم متى يستمكن النوم منهم **
** ولي مجلس لولا اللبانة أوعرُ **
** وبتُّ أناجي النفس أين خباؤها **
** وكيف لما آت من الأمر مصدرُ **
** فدلَّ عليها القلبُ رياء عرفتها **
** لها، وهوى النفس الذي كاد يظهرُ **
** فلما فقدت الصوت منهم واطفئت **
** مصابيح شُبَّتْ بالعشاء وأنورُ **
** وغاب قُمْرُ كنتُ أرجو غُيوبه **
** وروح رعيانٍ ونوم سُمرُ **
** ونفضتُ عني النوم أقبلت مشيةً **
** الحبابِ ورُكني خشية القوم أزورُ **
** فحييت إذ فاجأتها فتولَّهتُ **
** وكادت بمخفوض التحية تجهرُ **

الى قوله:

** فيا لك من ليلٍ تَقَاصَرَ طُولُهُ **
** وما كان ليلى قبل ذلك يقصرُ **
** ويا لك من ملهىٍ هناك ومجلس **
** لنا لم يُكَدِّرْهُ علينا مُكَدِّرُ **
** فما راعني إلا مُنَادٍ: تَرَحَّلُوا **
** وقد لاح مفتوقٌ من الصبح أشقرُ **
** فلما رأت مَنْ قد تنبّه منهم **
** وايقاظهم قالت أشرُ كيف تأمر؟ **
** فقلتُ أباديهم فإمّا أفوتهم **
** وإمّا ينال السيفُ ثأراً فيثأرُ **
** فقالت أتحقيقاً لِمَا قال كاشحُ **
** علينا وتصدقاً لِمَا كان يؤثر؟ **

موقفٌ حَرَجٌ، ما العمل:

** فقالت لأختيها أعينا على فتى **
** أقر زائراً والأمر للأمر يقدرُ **
** فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا **
** أقلّي عليك اللومَ فالخطبُ أيسرُ **
** فقالت لها الصغرى: سأعطيه مطرفي **
** ودرعي وهذا البردُ إن كان ينجدرُ **
** يقوم فيمشي بيننا مُتَنَكِّراً **
** فلا سرّنا يفشو ولا هو يظهرُ **

** فـكَانَ مَجْنِيّ دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِي **
** ثَلَاثَ شَخْوصٍ كَاعْبَانٍ وَمَعَصْرُ **
** فَلَمَّا أَجْزَنَّا سَاحَةَ الْحَيِّ قَلْنَ لِي **
** أَلَمْ تَتَّقِ الْأَعْدَاءَ وَاللَّيْلُ مُقَمِّرُ **
** وَقَلْنَ أَهَذَا دَأْبُكَ الدَّهْرُ سَادِرًا **
** أَمَا تَسْتَحْيِ أَوْ تَرَعُوبِي أَوْ تُفَكِّرُ **
** إِذَا جِئْتَ فَاْمُنَحْ طَرْفَ عَيْنِكَ غَيْرَنَا **
** لَكِي يَحْسِبُوا أَنَّ الْهَوَى حَيْثُ تَنْظُرُ. **

هند وعمر

كانت هند بنت الحارث المرية من الجميلات الذكيات جداً.
حاول عمر بن ابي ربيعة الاتصال بها مرةً، لئُسمعها قصيدة جديدة، فما
وجدها ولا قيل له أين هي، فاستسلم لحيرة كئيبة، حيرة لم يتعوّدها من
قبل، وهو قبلة الغواني، أليس هو القائل:

بينما يَنْعَتْنِي أَبْصَرْنِي

دون قيدِ الميلِ يعدو بي الأغرُ

قالت الكبرى: أتعرفنَ الفتى؟

قالت الوسطى: نَعَمْ هذا عُمَرُ

**قالت الصغرى، وقد تَيَمَّتُهَا: **

قد عرفناه وهل يَخْفَى القَمَرُ؟

أين هنّ الآن؟

واذا بخالد صديقه، يُطَلّ ويهمس له ان هند وصديقاتها على
غدير ماء يقضين وقتهنّ، فقال عمر: هيا بنا. فقال خالد: الأفضل أن
نخدعهنّ فنرتدي ملابس رثة ونتلثم ونمتطي راحلتين هزيلتين، وننزل
على مقربة منهنّ.

وهكذا وصلا الى غدير الماء، فرأيا هند وصواحبها يرتدين أزهى
الأبراد، وهنّ كالشموس المشرقة، فعقلا راحلتيهما وغسلا أيديهما وجلسا

إلى ظلّ ناعم، وإذا بصوت رخيم يناديهما:

- يا أخوي العرب تعاليا اجلسا معنا وأخبرانا ما وراءكما إذ يظهر
أنكما غريبان.

اعتذرا لما هما عليه من سوء حال... فقالت صاحبة الصوت:
- لا عليكم... تقدّما.

فدنوا منهنّ، وكان جوّ مجلسهنّ يموج بالعبير، فقالت احداهنّ:
- أسمعانا شيئاً من الشعر إن كنتم ترويان.

أسمعهما عمر من شعر جميل بن معمر وكثير عزة وغيرهما،
فأعجبنا بما سمعنه، فقالت هند:

- أما تروي يا أخي شيئاً لابن أبي ربيعة؟

- أروي له قصيدة لا أظنّ أحداً غيري قد سمعها، إذ جمعنا
القفار ليلة أمس فخلب لُبّي بها.

قالت هند:

- هاتها بالله عليك.

فأنشد:

** لَيْتَ هَنداً أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِدُّ **
** وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدُّ **
** وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً **
** إِنْما الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ **
** وَلَقَدْ قَالَتْ لَجَارَاتِهَا **
** وَتَعَرَّتْ ذَاتَ يَوْمٍ تَبْتَرِدُ: **

** أَمَا يَنْعَتْنِي تُبْصِرْنِي **
** عَمَرَكُنَّ اللَّهُ أَمْ لَا يَقْتَصِدُ... **

فصاحت هند:

- ويحه ما أدراه بهذه الأمور الخصوصية؟

فقال المنشد:

- لعلّه عالم بالنجوم.

فقالت:

- بالله أكمل.

فأنشد:

** فتضاحكن وقد قلن لها **
** حسنٌ في كلِّ عينٍ من تودَّ **
** حسداً حُمَّلْنَهُ من أجلها **
** وقديماً كان في الناس الحسدُ. **

هلّلت الغواني إعجاباً وقالت هند:

- لا فضّ فوك يا عمر، لقد شفيت نفسي من حسدهنّ، أكمل
أيها المنشد البارع.

فأنشد:

** طفلةٌ باردةٌ القَيْظِ إذا **
** معمعانُ الصيفِ أضحي يَتَّقِدُ **
** حدّثوني أنها لي نفّثتْ **
** عقداً، يا حبّذا تلك العقدُ **

** كَلَّمَا قَلْتُ مَتَى مِيعَادُنَا **
** ضَحِكْتُ هِنْدُ وَقَالَتْ: بَعْدَ غَدٍ. **

صَفَّقَتِ الْحَسَنَاتُ وَتَنَهَّدَتْ هِنْدُ قَائِلَةً:

- لَيْتَكَ بَيْنَنَا يَا عَمْرُ، لِكَافَأَتِكَ بِأَطِيبِ مَا تَتَمَنَّى.

خَلَعَ عَمْرُ اللَّثَامَ عَنْ وَجْهِهِ وَصَاحَ:

- لَبَّيْكَ يَا هِنْدُ، أَنَا هُنَا. أَتُرِينَ كَيْفَ خَدَعْتُكَ؟

فَقَهَقَتْ قَائِلَةً:

- بَلْ أَنَا الَّتِي خَدَعْتُكَ بِخَالِدٍ، لَتَجِيءَ بِمِلاَّبِسِكَ الرَّثَّةِ وَنَحْنُ كَمَا

تَرَى...

فَنَظَرَ عَمْرُ إِلَى خَالِدٍ فَرَأَاهُ مَبْتَسِمًا... فَقَالَ:

- وَالْمِكَافَأَةُ، عَلَى الْأَقْلَى، يَا هِنْدُ؟

فَأَجَابَتْ:

بَعْدَ غَدٍ، يَا عَمْرُ.

* * *

وَعَادَ الْمُتَنَزِّهُونَ وَقَدْ خَلَا الْمَكَانُ مِنْ أَنَسِهِ وَرَاحَ عَمْرُ يَنْتَظِرُ
حُلُولَ «بَعْدَ غَدٍ» مَتَمِّتًا عَيْنَيْتَهُ الرَّائِعَةَ:

** أَلَمْ تَسْأَلِ الْأَطْلَالَ وَالْمُتَرَبِّعَا **

** بِبَطْنِ حَلِيَّاتٍ دَوَارِسَ بَلْقَعَا **

** إِلَى السَّرْحِ مِنْ وَادِي الْمَغْمَسِ بَدَلْتُ **

** مَعَالِمَهُ وَبِلَا وَنُكْبَاءَ زَعْرَعَا **

** فيبخلن أو يخبرن بالعلم بعدما **
** نكأن فؤاداً كان قدماً مفجعاً **
** لهند وأتراب هند إذ الهوى **
** جميعٌ وإذ لم نخش أن يتصدّعا. **

نوار والفززدق

نوار هي ابنة عمّ الفززدق، وكان الشاعر الأمويّ، وليّها. كانت نوار تحبّ رجلاً من دارم خطبها فرضيته وأرسلت الى ابن عمها الفززدق تطلب اليه أن يزوّجها إيّاه، فقال الفززدق:

- لا أفعل أو تشهدينني انك رضيت بمن زوّجتك...

فقلت نوار:

- سمعاً وطاعة يا أبا فراس، يا مَنْ جدّه أحيا الوئيدة:

** وجدّي الذي منع الوائدات
** وأحيا الوئيدَ فلم يُؤادِ **

وجدّ الفززدق، صمصعة، هو الذي أحيا المؤودات ومنع النساء من وأد بناتهنّ، فلم تعد تُدفن البنت حيّة حين ولادتها، تخلصاً من عار سبّيها.

الفززدق: يا بني مجاشع بن دارم حمداً لله وشكراً...

قد علمتم ان النوار قد ولّني أمرها، وأشهدكم اني قد زوّجتها نفسي على مائة ناقة حمراء، سوداء الحديقة.

نوار: يا لك من شاعر خبيث، يا غليظ الوجه واللسان.

* * *

ونفرت منه النوار الى مكة فتبعها الفرزدق وظلّ بها حتى اصطالحا
على ان يرجعا الى البصرة ويحكّما في أمرهما بني تميم، ومكثت عنده النوار
زماناً ترضى عنه حيناً وتخاصمه أحياناً. وظلّت تُرقّقه وتستعطفه حتى
أجابها الى طلاقها وأخذ عليها أن لا تفارقه ولا تبرح من منزله ولا
تتزوج رجلاً بعده... ثم ندم وتحسّر، فقال:

** ندمتُ ندامة الكسعيّ لما **

** غدتُ مني مطلقة نوار **

** وكانت جنّتي فخرجتُ منها **

** كآدمَ حينَ أخرجه الضرارُ **

** وكنتُ كفاقيءٍ عينيهِ عمداً **

** فأصبح ما يضيء له النهارُ. **

عَزَّةٌ وَكُثِيرٌ

هو أبو صخر كُثِيرٌ بن قحطان. أمه جمعة بنت أبي جمعة بن حارثة، ولذلك يُقال لكثير: ابن أبي جمعة.

انه من فحول الشعراء، جعله ابن سلام في الطبقة الأولى منهم، وقرن به جريراً والفرزدق والأخطل. وكان كثيرٌ محمقاً مشهوراً بذلك، وكان قصير القامة وتياهاً ومدّعيّاً .

أما قصة لقبه بكثير عزة، فقد كان يرعى ذات يوم غنماً على سفح جبل معشوشب، وكان قبالة نسوة جالسات على طعام، وإذا بهن يبصرن كبشاً مكتظاً، فارتأين أن يرسلن ابنة معهن تدعى عزة لتطلب الكبش من الرجل، على ان يدفعن ثمنه في طريق العودة...

* * *

** قَضَى كُلَّ ذِي دَيْنٍ فَوْفَى غَرِيمَهُ **

** وَعَزَّةٌ مَمْطُولٌ مُعْنَى غَرِيمِهَا **

** مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسُهَا **

** إِذَا مَا انْقَضَتْ أَحْدُوثةٌ لَوْ تُعِيدُهَا **

** نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظْرَةً مَا يَسْرَنِي **

** بِهَا حَمْرُ أَنْعَامِ الْبِلَادِ وَسُودُهَا **

السلام عليك، يا أخا العرب. يُقْلَنَ لك النسوة: «بعنا كبشاً
من هذه الغنم وأنسئنا بثمانه الى ان ترجع».
قال كثير:

إليك به، وبكل ما تطلبين يا جميلة العينين، وناصعة اليدين.

* * *

- هذه دراهمك يا أخ، وشكراً لك.

- لن آخذها... أين الصبية التي أخذت مني الكبش؟

- وما شأنك بها؟ هذه دراهمك.

- لن آخذ الدراهم إلا ممن دفعت الكبش إليها:

** قضي كل ذي دين فوفى غريمه **

** وعزةٌ ممطولٌ معنى غريمها **

** من الخفرات البيض ودّ جليسها **

** إذا ما انقضت أحوثة لو تُعيدها **

* * *

** خليّ هذا ربع عزة فاعقلا **

** قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلّت **

** وما كنت أدري قبل عزة ما البكا **

** ولا مُوجعات القلب حتى تولّت **

** فليت قلوصي عند عزة قيّدت **

** بحبلٍ ضعيفٍ بان منها فضلت **

** فأصبح في القوم المقيمين رَحْلُهَا **
 ** وكان لها باغٍ سِوَايَ فَبُولَتْ **
 ** فقلتُ لها يا عَزَّ كُلُّ مَصِيبَةٍ **
 ** إذا وُطِئَتْ يوماً لها النفسُ ذَلَّتْ **
 ** أَسِئْثِي بنا أو أَحْسِنِي لا مَلُومَةٌ **
 ** لدينا، ولا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتْ **
 ** هَنِئاً مَرِيئاً غَيْرَ دَاءٍ نَحْمِرُ **
 ** لِعَزَّةٍ من أَعْرَاضِنَا ما اسْتَحَلَّتْ **
 ** تَمَنِّيْتُهَا حَتَّى إِذَا ما رَأَيْتَهَا **
 ** رَأَيْتُ الْمَنَايَا شُرْعاً قَدْ أَظَلَّتْ **
 ** أَصَابَ الرَّدَى مَنْ بَاتَ يَنْوِي لَكَ الرَّدَى **
 ** وَجُنَّ اللُّوَاقِي قُلْنَ عَزَّةٌ جُنَّتْ. **

* * *

وبعد أعوام، وكان كثير قد تقرب من عزة، التقت عزة ببشينة
 فاتفقتا على الايقاع بالشاعر، فقالت عزة:

يا بشينة، بحق جميل بن معمر الذي يقول:

** فلربَّ عارضةٍ علينا وَضَلَّهَا **
 ** باجِدٍ تَخْلَطُهُ بِقَوْلِ الْهَازِلِ **
 ** صَادَتْ فَوَادِي يَا بَشِينَ حَبَالِكُمُ **
 ** يَوْمَ الْحَجُونِ وَأَخْطَأَتْكِ حَبَائِلِي **

** حاولني لأبثَّ جِلِّ وصالكم **
 ** مني، ولستُ وإنْ جُهِدَنَ بفاعل **
 ** يَعْضَضُنَ من غيظٍ عليَّ أناملاً **
 ** ووددتُ لو يعضضنَ صُمَّ جنادلِ **
 بحق جميل، هذا العذري المخلص، أريد أن أعرف هل لكثير
 شيء من هذا الاخلاص. تصدّي له وأطمع به... حتى نسمع ما
 يُجيبك به، وأنا وراءك متخفية.

* * *

بثينة: «قضى كلّ ذي دينٍ فوقَ غريمه...»
 كثير: السلام عليك يا بثينة، يا فاتنة الشعراء من عذريين وغير
 عذريين...

بثينة: أما تقول في غير ذلك؟

** كثير: رميتني على عمدٍ بثينة بعدما **
 ** تولى شباي وارجحنّ شباها **
 ** بعينين نجلاوين لو رقرقتها **
 ** لنوء الثريا لاستهلّ سحابها **
 عزة: ... وعزة، يا كثير...

** كثير: ولكننا ترمين نفساً مريضةً **
 ** لعزة منها صفوها ولُبابها **

ليلى وقيس

هي ليلى العامرية، وهو قيس الملوّح العامري، أحبّ ليلى ابنة عمّه فذهبت بقلبه وعقله، وترك لنا أجمل الشعر في الوفاء، وقصة حبّ عظيم تناقلتها البوادي والخواضر.

كانت ليلى وقيس صغيرين يرعيان مواشي أهلها، فعلق كلّ واحد منها صاحبه، ولم يزالا كذلك حتى كبرا، فَحُجِبَتْ عنه ليلى، فتنهّد قائلاً مُتذكراً:

** تعلّقتُ ليلى وهي ذاتُ ذؤابةٍ **
** ولم يبدُ للأتراب من ثديها حَجْمُ **
** صغيرين نرعى البهَمَ، ياليت أنّا **
** إلى اليوم لم نكبرُ ولم تكبرِ البهَمُ **

ولما شهَرَ أمرُ قيس وليلى وتناشَدَ الناسُ ما قاله فيها من شعر، حاول قيس أن يخطبها فمانع أهلها وزوجوها سواء على كُرهِ منها، فقالت بعد ذلك:

** كلانا مُظهرٌ للناسِ بَغْضاً **
** وكلُّ عند صاحبه مَكِينُ **

** وأسرارُ الملاحظِ ليس تخفى **
** وقد تُغري بذي اللحظِ العيونُ **

* * *

يُقال إن ابن الملوّح قد اختلط عقله بعد أن سمع ذينك البيتين
من ليلي، فخرّ مغشياً عليه، ثم أفاق فاقداً عقله، فاذا ذكّرتُ ليلي عاد
إليه عقله وأنشأ يقول ويحدّث عنها، فلا يُخطيء حرفاً:

** إذا ذكّرتُ ليلي عقلك وراجعتُ **
** عواذبُ عقلي من هوى مُتَشَعِّبِ **

** وأصبحثُ من ليلي الغداة كناظرٍ **
** مع الصُّبحِ في أعقابِ نجمٍ مُغَرَّبِ **

** ألا إنما غادرتِ يا أمّ مالكِ **
** صدىً أينما تذهبُ به الريحُ يذهبُ **

ولما اختلط عقل قيس، وترك الطعام والشراب، مضت أمّه إلى
ليلى وأخبرتها ما حلّ به وقالت لها:

لو جئتِه وقتاً، يا أمّ مالك، لَرَجَوْتُ أن يثوبَ إليه بعضُ عقله.
فأتته ليلاً وقالت له:

يا قيس إن أملك تزعم أنك جُنتَ من أجلي، فتركْتَ المطعمَ
والمشربَ، فاتّقِ الله، وأبقِ على نفسك.

فقال المجنون:

** قالت جُنتَ على أيّش فقلتُ لها **
** الحبُّ أعظمُ ممّا بالمجانين **

** أَلْحَبُّ لَيْسَ يُفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ **
** وَإِنَّمَا يُصْرَعُ المَجْنُونُ فِي الحَيْنِ **
* * *

ذات يوم، خرج المجنون مع بعض قومه في سفر، فمروا في
طريق متشعب طريقين، أحدهما ينزله رهط ليلي، فسألهم أن يعدلوا معه
في تلك الطريق فأبوا، ومضى وحده يُرَدِّد:

** أَأَتْرُكُ لَيْلَى لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا **
** سَوَى سَاعَةٍ إِنِّي إِذَا لَصَبُورٌ **
** هَبُونِي امْرَأً مِنْكُمْ أَضِلُّ بِعَيْرِهِ **
** لَهُ حَرَمَةٌ إِنَّ الزِّمَامَ كَبِيرٌ **
** وَلِلصَّاحِبِ المَتْرُوكِ أَعْظَمُ حُرْقَةً **
** عَلَى صَاحِبٍ مِنْ أَنْ يَضِلَّ بِعَيْرٍ. **
* * *

لام المجنون أهله وأصحابه وطلبوا إليه أن ينسى ليلي، فقال:

** يَقُولُ أَنَاسٌ عَلَّ مَجْنُونٌ عَامِرٌ **
** يَرُومُ سُلُوءاً قَلْتُ أَنِّي لِمَا بِيَا **
** وَقَدْ لَامَنِي فِي حُبِّ لَيْلَى قَرَابَتِي **
** أَخِي وَابْنُ عَمِّي وَابْنُ خَالِي وَخَالِيَا **
** يَقُولُونَ لَيْلَى أَهْلُ بَيْتِ عِدَاوَةٍ **
** بِنَفْسِي لَيْلَى مِنْ عَدُوٍّ وَمَالِيَا. **

وراح المجنون يهيم في البرية مع الوحش لا يأكل إلا مع الأطباء
إذا وردت مناهلها، وطال شعر جسده ورأسه، وألفته الوحوش. وظل
على تلك الحال حتى مات، فقيل:
ما رُئي يوم كان أكثر باكياً وباكيةً على ميت منه . . .

لَبْنَى وَقَيْس

قيس بن ذريح يَمْرُ بخيام كعب بن خزاعة، والحَيُّ غَيْبٌ وخيمة
لَبْنَى ينداح منها المسك والعنبر، والشاعر تقوده الأطياب مثقلا بحنين
خفي.

واذا بلبنَى زنبقةٌ مديدةٌ شهلاء، تقف الى شجرة مزهرة ترقب
القادم الغريب. ويصل الشاعر الشroud ويرى لبنَى وتشتبك النظرات
ويظمأ الفؤاد، فيطلب الشاعر ماءً فتبتسم لبنَى وتذهب وتعود به اليه،
فيشرب قيس وينصرف وفي قلبه من لبنَى حرٌّ لا يُطفأ.

ويعود الشاعر في يومٍ آخر وقد اشتدَّ وجْدُه بلبنَى، فيشكو إليها ما
يجدُ بها وما يلقي من حُبِّها، وتشكو هي إليه مثل ما به منها. . . ويطلب
بدها فيمانع أهلها في أن يتزوجها ويدخل المصلحون ويجمع سقفٌ
واحدٌ حبيبين ما عرفا سوى المحبة والاخلاص.

وتمرَّ الأيام ولا وارث لقيس ولا حفيد لذريح، ولم يتركه والداه
إلا بعد ان طلق لبنَى مكرهاً فاستطار عقلُه وَلَحَقَهُ مثلُ الجنون.

وكانت ليلة قمراء رحلت فيها لبنَى بهودج على ناقة ويابل تحمل
أثاثها فيسقط الشاعر مغشياً عليه ويُفَيِّقُ متهدأً:

** وَإِنِّي لَمُفْنٍ دمع عيني بالبكا **

** حذارِ الذي قد كان أو هو كائنٌ **

** وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة **
** فِرَاقُ حَبِيبٍ لَمْ يَبْنَ وَهُوَ بَائِنٌ **
** وما كنتُ أخشى أن تكونَ منيَّتي **
** بكفيكَ إلاَّ أنَّ ما حان حائنُ. **

و و و

** يقولون لُبْنَى فتنَةٌ كنتَ قبلَها **
** بخيرٍ فلا تَنَدَمْ عليها وَطَلِّقِ **
** فطاوَعْتُ أَعْدَائِي وَعَاصَيْتُ نَاصِحِي **
** وَأَقْرَرْتُ عَيْنَ الشَّامِتِ الْمُتَخَلِّقِ **
** وددتُ وَبَيْتَ اللَّهِ إِنِّي عَصَيْتَهُمْ **
** وَجُمِلْتُ فِي رَضْوَانِهَا كُلِّ مُوَبِّقِ **

** وكَلَّفْتُ حَوْضَ الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ زَاخِرُ **
** أَيْتُ عَلَى أَثْبَاجِ مَوْجٍ مُغْرِقِ **
** كَأَنِّي أَرَى النَّاسَ الْمُحِبِّينَ بَعْدَهَا **
** غُصَّارَةَ مَاءِ الْخَنْظَلِ الْمُتَفَلِّقِ **
** فَتُكِرُّ عَيْنِي بَعْدَهَا كُلَّ مَنْظَرٍ **
** وَيُكْرَهُ سَمْعِي بَعْدَهَا كُلَّ مَنْطِقٍ **

* * *

مرض قيس، وبكى الحبَّ شعراً يفيض بالإخلاص والندامة،
وهام على وجهه في أحياء العرب، فرأى جارية حسناء هي كالبدر ليلة

تَمَّه، وإذا اسمها بُنَى فتزوّجها، وبلغ لبني زوجته السابقة زواجهُ فقالت:
إنه لغدار، لقد كنتُ أمتنع من إجابة قومي الى التزويج، فانا
الآن أُجيبهم.

وتزوّجت لبني رجلاً يعرف بخالد بن حلزة من غطفان، فقالت
النساء ليلة زفافها:

** لُبَيْنَى زوجها أصبح **
** لا حُرٌّ بواديه **
** له فضلٌ على الناس **
** بما باتت تُناجيه **
** وقيسٌ ميّتٌ حياً **
** صريعٌ في بواكيه **
** فلا يُبعدهُ الله **
** وبُعداً لِنَوَاعِيهِ. **

جزع قيسٌ لما سمع تلك الأبيات، فحزن أيما حزن، وراح يُردّد:

** الى الله أشكو فَقَدْ بُنَى كما شكا **
** الى الله فَقَدْ الوالدينِ يَتِيمٌ **
** يَتِيمٌ جفاه الأقربون فَجَسْمُهُ **
** نحيلٌ وعهدُ الوالدينِ قديمٌ **
** بكث دَارُهُمْ من نأيمٍ فتهلّلتُ **
** دموعي فأَيُّ الجارِعينِ أَلومٌ **

** أَمْسَتَ غَيْراً يَبْكِي مِنَ الْحَرِّ وَالْجَوَى **
 ** أَمْ آخِرُ يَبْكِي شَجْوَهُ وَيَهِيمُ **
 ** تَهَيَّضَنِي مِنْ حُبِّ لُبْنَى عِلَاقُ **
 ** وَأَصْنَافُ حُبِّ هَوَاهُنَّ عَظِيمُ **
 ** وَمَنْ يَتَعَلَّقُ حُبَّ لُبْنَى فُؤَادُهُ **
 ** يَمُتْ أَوْ يَعِشْ مَا عَاشَ وَهُوَ كَلِيمُ **
 ** وَإِنِّي وَإِنْ أَرْمَعْتُ عَنْكَ تَجَلِّدًا **
 ** عَلَى الْعَهْدِ فِيمَا بَيْنَنَا لَمَقِيمُ **
 ** وَإِنْ زَمَانًا شَتَّتَ الشَّمْلَ بَيْنَنَا **
 ** وَبَيْنَكُمْ فِيهِ الْعِدَا لَمَشُومُ **
 ** أَفِي الْحَقِّ هَذَا إِنَّ قَلْبَكَ فَارِغُ **
 ** صَحِيحٌ وَقَلْبِي فِي هَوَاكِ سَقِيمُ. **

* * *

بُرَيْكَةُ امْرَأَةٌ مِنْ مَوَالِي بَنِي زَهْرَةَ، وَهِيَ مِنْ أَظْرَفِ النِّسَاءِ
 وَأَكْرَمِهِنَّ، وَهِيَ تَبْخُلُ بَرَيْكَةَ عَلَى قَيْسٍ، وَقَدْ أَتَاهَا لِيَرَى لُبْنَى نَظْرَةً
 وَاحِدَةً؟

وَتَرَدَّ لُبْنَى زِيَارَةَ بَرَيْكَةَ وَهِيَ تَعْلَمُ أَنَّ قَيْساً عِنْدَهَا، وَيَبْكِي الْاِثْنَانِ
 ثُمَّ تَطْلُبُ إِلَيْهِ أَنْ يُسْمِعَهَا مَا أَحْدَثَهُ فِي عِلَّتِهِ، فَأَنْشِدُهَا قَوْلَهُ:

** أَعَالَجُ مِنْ نَفْسِي بِقَايَا خُشَّاشَةٍ **
 ** عَلَى رَمَقٍ وَالْعَائِدَاتُ تَعُودُ **

** فإِنْ ذِكْرَتَ لَبْنِي هَشَشْتُ لِدَكْرَهَا **
 ** كَمَا هَشُّ لِلثَدْيِ الدَّرُورِ وَلِيدُ **
 ** أَجِيبُ بِلَبْنِي مَنْ دَعَانِي تَجَلِّدًا **
 ** وَبِي زَفَرَاتٍ تَنْجَلِي وَتَعُودُ **
 ** أَلَا لَيْتَ أَيَّامًا مَضَيْنَ تَعُودُ **
 ** فَإِنْ عُدْنَ يَوْمًا إِنْني لَسَعِيدُ **
 ** سَقَى دَارَ لُبْنِي حَيْثُ حَلَّتْ وَخِيَمَتْ **
 ** مِنْ الْأَرْضِ مِنْهَلُّ الْغَمَامِ رُعُودُ **
 ** فَلَا الْيَأْسُ يُسْلِينِي وَلَا الْقُرْبُ نَافِعِي **
 ** وَلُبْنِي مَنُوعٌ مَا تَكَادُ تَجُودُ **
 ** رَمَتْنِي لُبْنِي فِي الْفَوَادِ بِسَهْمِهَا **
 ** وَسَهْمُ لُبْنِي لِلْفَوَادِ صَيُودُ **
 ** سَلَا كُلُّ ذِي شَجْوٍ عَلِمْتُ مَكَانَهُ **
 ** وَقَلْبِي لِلْبْنِي مَا حَيْثُ وَدُودُ **
 ** وَقَائِلَةٌ قَدْ مَاتَ أَوْ هُوَ مَيِّتٌ **
 ** وَلِلنَّفْسِ مِنِّي إِنْ تَفِيضَ رَصِيدُ **

* * *

وعاتبته لبني على تزوجه . . . فحلف أنه لم ينظر اليها ملء عينيه،
 ولا دنا منها، وإنما لبني اسمها جذبته اليها.

وعاد الحبيبان المتيمان قيس ولبني الى عشهما من جديد، وبقي
 الشاعر على حبه واخلاصه لها، وبقيت لبني كذلك . . .

ليلى وتوبة

** نَأْتُكَ بَلِيلَى دَارُهَا مَا تَزُورُهَا **
** وَشَطَّتْ نَوَاهَا وَاسْتَمَرَّ مَرِيرُهَا **
** حَامَةٌ بَطْنِ الْوَادِيْنَ تَرْغِي **
** سَقَاكَ مِنَ الْغُرِّ الْغَوَادِي مَطِيرُهَا **
** أَبِينِي لَنَا مَا زَالَ رِيْشُكَ نَاعِمًا **
** وَلَا زَلَّتْ فِي خَضِرَاءِ دَانٍ بَرِيرُهَا **
** وَأَشْرَفُ بِالْقَوْرِ الْيَفَاعِ لَعَلَّنِي **
** أَرَى نَارَ لَيْلَى أَوْ يَرَانِي بِصِيرُهَا **
** عَلِيٌّ دِمَاءُ الْبَدَنِ إِنْ كَانَ بَعْلُهَا **
** وَمَا كَانَ فِي قَوْلِي اسْلَمِي مَا يَضِيرُهَا **

تلك أبيات توبة بن الحمير قالها في نسبته ليلي الأخيلية، بعد أن زارها في منزلها الزوجي ولم ير منها إليه بشاشة.

وليلي الأخيلية، هي من شعراء الدولة الأموية، أحبها توبة فخطبها إلى أبيها فلم يوافق وزوجها سواه، فهام الشاعر على وجهه حتى قُتل على أيدي أعدائه.

قالت ليلي الأخيلية:

قال لي توبة ليلةً وقد خلونا، كلمةً ظننتُ أنه قد خضع فيها
لبعض الأمر، فأجبت بهذين البيتين:

** وَذِي حَاجَةٍ قُلْنَا لَهُ لَا يَيْخُ بِهَا **

** فَلَيْسَ إِلَيْهَا مَا حَيْثُ سَبِيلُ **

** لَنَا صَاحِبٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ نُخَوِّنَهُ **

** وَأَنْتَ لِأُخْرَى فَارِغٌ وَحَلِيلُ. **

وبعد ذلك، وجه توبةً صاحباً له، فاعتلى تلةً قبالة بيتنا وهتف:

** عَفَا اللَّهُ عَنْهَا هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً **

** مِنْ الدَّهْرِ لَا يَسْرِي إِلَيَّ خِيَالُهَا **

فأجابت ليلي على الفور:

** وَعَنْهُ عَفَا رَبِّي وَأَحْسَنَ حِفْظَهُ **

** عَزِيزٌ عَلَيْنَا حَاجَةٌ لَا يَنَالُهَا **

* * *

عندما بلغ ليلي الأخيلية مقتل توبة، رثته بأكثر من قصيدة، قالت
في إحداها:

** أَقْسَمْتُ أَرْتِي بَعْدَ تَوْبَةٍ هَالِكَا **

** وَأَحْفَلُ مِنْ دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَائِرُ **

** لَعَمْرُكَ مَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَقَى **

** إِذَا لَمْ تُصِبْهُ فِي الْحَيَاةِ الْمَعَايِرُ **

** وما أحدٌ حيٌّ وإنْ عاش سالماً **
 ** بأخلدَ مَن غيَّبتهُ المقابرُ **
 ** ومَن كان مَن يحدُّ الدهرُ جازعاً **
 ** فلا بدَّ يوماً أن يرى وهو صابرُ **
 ** وكلَّ قريني ألفيةً لتفريقِ **
 ** شتاتاً وإن ضنا وطال التعاشرُ **
 ** فلا يُبعدنكَ الله حياً وميتاً **
 ** أخوا الحرب إن دارتْ عليك الدوائرُ **
 ** فآليتْ لا أنفكُ أبكيك ما دعتْ **
 ** على فنٍّ ورَقاءٍ أو طار طائرُ **

* * *

وذات يوم، مرّت ليلي الأخيلىّة بقبر توبة بن الحمير ومعها زوجها، وهي في هودجٍ لها، فقالت:
 والله لا أبرح حتى أسلم على توبة...
 وجعل زوجها يمنعها، وتابى إلّا أن تحقّق غايتها، فصعدت أكمة عليها قبر توبة، وقالت: السلام عليك، يا توبة...
 ثم حولت وجهها الى الناس الذين كانوا بالقرب من ذلك المكان، وقالت:

والله ما عرفتُ له كذبةً قطُّ قبل هذه! أليس هو القائل:

** ولو ان ليلي الأخيلىّة سلّمتْ **
 ** عليّ ودوني تربةً وصفائحُ **

** لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَا **
** إِلَيْهَا صَدًى مِنْ دَاخِلِ التُّرْبِ صَائِحُ **
** وَأُغْبِطُ مِنْ لَيْلٍ بِمَا لَا أَنْالُهُ **
** أَلَا كُلُّ مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحُ **

* * *

وكان في جانب القبر بومةٌ كامنةٌ، فلما رأتِ الهودجَ واضطرابه
فزعت وطارَت في وجهِ الجمل، فنفر ورمى ليلي على رأسها فماتت،
ودُفنت إلى جانب توبة...

عاتكة وأبو دهب

كان أبو دهب رجلاً جميلاً شاعراً، وكانت له جمّة يُرسلها تضرب منكبيه. قال الشعر في خلافة علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ومدح معاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وولاه ابن الزبير بعض أعمال اليمن.

ذُكِرَ أن عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان حجّت فنزلت بذى طوى، وبينما هي جالسة وقد اشتدّ الحرّ وانقطع الطريق، أمرت جوارها فرفعن الستّر، وهي جالسة في مجلسها، عليها شفوف، تنظر الى الطريق، فمرّ أبو دهب الجحميّ، وكان من احسن الناس وجهاً وأجملهم منظراً، فوقف طويلاً ينظر إليها والى جمالها، وهي غافلة عنه، فلما فطنّت له، سترت وجهها بطرح الستّر ووبخته، فقال أبو دهب:

** إني دعاني الحين فاقتادني **

** حتى رأيتُ الظبيّ بالباب **

** يا حُسْنُهُ إذ سبّني مُدبراً **

** مُستتراً عنيّ بجلبابٍ **

** سبحان من وقّفها حسرةً **

** صبّت على القلبِ بأوصابٍ **

** يذودُ عنها إنْ تطلَّبَتْها **
** أبُّ لها ليس بوَهَّابٍ **
** أحلَّها قصرًا منيعَ الذرى **
** يُحمى بأبوابٍ وحُجَّابٍ. **

وشاعت تلك الأبيات بمكة وشهرت، وغنى فيها المغنون حتى سمعتها عاتكة أنشاداً وغناءً، فضحكت وأعجبتها، فبعثت الى الشاعر بكسوة. وجرت الرسل بينهما، فلما صدرت عن مكة خرج معها الى الشام، فنزل قريباً منها، فكانت تُعَاهِذُهُ بالبرِّ واللطفِ، ومرض بدمشق مرضاً طويلاً، فقال في ذلك:

** طال ليلى وبثُّ كالمحزونِ **
** وملئتُ الشتاءَ في جيرونِ **
** وأطلتُ المقامَ بالشامِ حتى **
** ظنَّ أهلي مُرَجَّاتِ الظنونِ **
** فبَكَتْ خَشْيَةَ التَفَرُّقِ جُمْلُ **
** كبكاءِ القرينِ أثرَ القرينِ **
** ولقد قلتُ إذ تطاولَ سُقْمِي **
** وتقلَّبتُ ليلتي في فنونِ **
** ليت شعري أعنَّ هوىً طار نومي **
** أم براني الباري قصيرَ الجفونِ **
** وهي زهراءُ مثلِ لؤلؤةِ الغواصِ **
** ميزتُ من جواهرٍ مكنونِ **

** وإذا ما نسبتهما لم تجدْها **

** في سناءٍ من المكارمِ دُونِ **

** ثمَّ خَاصَرْتَهَا الى القُبَّةِ الخُضراءِ **

** تَمْشِي في مَرَمِرٍ مَسْنُونِ **

شاع هذا الشعر حتى بلغ معاوية بن أبي سفيان فطلب أبا دهل
فاحضر له فقال معاوية :

ما ظننْتُ أن في قريش أشعر منك، يا أبا دهل حيث تقول :

** ولقد قلتُ إذ تطاول سُقْمِي **

** وتقلَّبْتُ ليلتي في فنونِ **

** ليت شِعْري أَعْنُ هوىً طار نومي **

** أم براني الباري قصيرَ الجفونِ **

** وهي زهراءُ مثل لؤلؤة الغواصِ **

** مِيزت من جوهِرٍ مكنونِ **

** وإذا ما نسبتهما لم تجدْها **

** في سناءٍ من المكارمِ دُونِ **

فوالله، إن فتاة أبوها معاوية، وجدَّها أبو سفيان، وجدَّتْها هند
بنت عتبة، لكما ذكرت، فأَيَّ شيء زدَتْ في قَدْرِهَا... ولقد أسأتَ في
قولك :

** ثمَّ خَاصَرْتَهَا الى القُبَّةِ الخُضراءِ **

** تَمْشِي في مَرَمِرٍ مَسْنُونِ **

فقال أبو دهل :

والله، يا أمير المؤمنين، ما قلت هذا، وإنما قيل على لساني.

فأجابه أمير المؤمنين :

أما من جهتي فلا خوف عليك، لأنني أعلم صيانة ابنتي نفسها،
وأعلم أن فتيان الشعراء لم يتركوا أن يقولوا في النسيب كل من جاز أن
يقولوه فيه، وكل ما لم يجز، وإنما أكره لك يا أبا دهب، جوار يزيد،
وأخاف عليك ووثباته، فإن له ثورة الشباب وأنفة الملوك.

وكأنما أراد معاوية بقوله ذاك، ان يهرب أبو دهب فتنقضي
المقالة، فحذر أبو دهب وخرج الى مكة هارباً على وجهه، وجعل
يكاتب عاتكة . . .

ذات يوم، بينما كان معاوية في مجلسه، اذ جاءه أحد خدامه فقال له :
يا أمير المؤمنين، لقد تسلمت عاتكة كتاباً فلما قرأته بكت، ثم
أخذته فخبأته.

قال معاوية :

حاول ان تأتيني بالكتاب .

وقد استطاع الرجل أن يأخذ الكتاب، فأقبل به على معاوية، فاذا

فيه :

** أَعَاتِكَ هَلَّا إِذْ بَخَلْتَ فَلَا تَرَى **
** لَذِي صَبُوءٍ زَلْفَى لَدَيْكَ وَلَا حَقًّا **
** رَدَدْتَ فَوَادًّا قَدْ تَوَلَّى بِهِ الْهَوَى **
** وَسَكَنْتِ عَيْنًا لَا تَمَلُّ وَلَا تَرَقَا **
** وَلَكِنْ خَلَبْتَ الْقَلْبَ بِالْوَعْدِ وَالْمَنَى **
** وَلَمْ أَرْ يَوْمًا مِنْكَ جُودًا وَلَا صَدَقَا **
** أَتَنْسِينِ أَيَّامِي بِرَبْعِكَ مُدْنَفًا **
** صَرِيحًا بِأَرْضِ الشَّامِ ذَا سَقَمٍ مُلْقَى **

** وليس صديق يرتضى لوصية
 ** وأدعو لدائي بالشراب فلا أسقى
 ** فوا كبدي، إذ ليس لي منك مجلس
 ** فأشكو الذي بي من هواك وما ألقى
 ** رأيتك تزدادين للصب غلظة
 ** فيزداد قلبي كل يوم لكم عشقا.

لما قرأ معاوية هذه الأبيات، أرسل الى ابنه يزيد رسولا أتى به، فقال له:

إن أبا دهب كتب بهذه الأبيات الى أختك، فلم تنزل باكية الى اليوم، وقد أفسدها، فما ترى فيه؟

قال يزيد:

عبد من عبيدك يكمن له في بعض الأزقة فيريحنا منه.

أجابه معاوية:

والله ان امرأ يريد بك ما يريد، ويسمو بك الى ما يسمو، لغير ذي رأي. وأنت قد ضاق ذرعك بكلمة، وقصر فيها باعك حتى أردت أن تقتل رجلاً من قريش، أو ما تعلم أنك إذا ما فعلت ذلك صدقت قوله، وجعلتنا أحدىة أبداً؟

أجابه يزيد بأن الشاعر قال قصيدة أخرى تناشدها أهل مكة، جاء فيها:

** ألا لا تقل مهلاً فقد ذهب المهل
 ** وما كل من يلحى محباً له عقل

** لقد كان في حولين حالا فلم أزر
 ** هوائى وان خُوفْتُ عن حبّها شغلُ
 ** حمى الملك الجبّار عني لقاءها
 ** فمن دونها تخشى المتالفُ والقتلُ
 ** فلا خير من حُبِّ يُخاف وبألهُ
 ** ولا في حبيبٍ لا يكونُ له وصلُ
 ** فوا كبدي اني شُهرتُ بحبّها
 ** ولم يكُ فيما بيننا ساعةً بذلُ
 ** ويا عجباً اني أكَاتمُ حبّها
 ** وقد شاع حتى قُطعتْ دونها السُبلُ.

بعد أن سمع معاوية هذه الأبيات، قال يزيد:

قد والله فهمت كلّ شيء، ورفّعت عني يا يزيد، فوالله ما كنت
 آمن ان يكون قد وصل إليها، فأما الآن، وهو يشكو أنه لم يكن بينهما
 وصل ولا بذل، فالخطبُ يسير.

وحج معاوية في تلك السنة، فلما انقضت أيام الحج كتب أسماء
 وجوه قريش وأشرافهم وشعرائهم، وكتب اسم أبي دهل، ثم دعاهم
 فأجازهم جوائز كثيرة، ولما قبض أبو دهل جائزته وقام لينصرف، دعا
 به معاوية إليه، فقال له:

يا أبا دهل، ما بالي رأيتُ أبا خالد يزيد ابن أمير المؤمنين،
 عليك ساخطاً في بعض شعر قيل على لسانك. لا تعرض لأبي خالد.
 جعل الشاعر يعتذر اليه ويحلف أنه مكذوب عليه، فقال له
 معاوية:

لا عليك، هل تأهلت؟

قال أبو دهب:

لا

قال معاوية:

أي بنات عمك أحب إليك؟

فقال له: فلانة

قال معاوية:

قد زوجها أمير المؤمنين وأصدقها ألفي دينار، وأمر لك بألف.

ولما قبضها أبو دهب، قال:

إن رأى أمير المؤمنين أن يعفو عما مضى، فإن نطقت ببيت في معنى ما بلغه وسبق مني، فقد أبحثُ به دمي، وفلانة التي قد زوجها أمير المؤمنين طالق البتة. فسُرَّ بذلك معاوية وضمن له رضا يزيد عنه، ووعدته بإدراار ما وصله في كل سنة، وانصرف عائداً الى دمشق.

أسماء والمرقش الأكبر

هو عُمَرُ بْنُ مَالِكِ بْنِ ضُبَيْعَةَ، أَحَدُ مَنْ قَالَ شِعْراً فَلَقِبَ بِهِ، وَهُوَ أَحَدُ الْمُتَيَّمِينَ، كَانَ يَهُوَى ابْنَةَ عَمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتَ عَوْفِ بْنِ ضُبَيْعَةَ.
لُقِبَ المَرَقَّشُ لقوله:

** الدارُ وَحْشٌ والرسوم كما **
** رُقِّشَ فِي ظَهْرِ الْأَدِيمِ قَلَمٌ. **

عشق المرقش الأكبر أسماء ابنة عمه عوف، فخطبها الى أبيها، فقال له:

لا أزوِّجك حتى تُعرَفَ بالبأس.

فانطلق مرقش الى ملك من الملوك، فكان عنده زماناً ومدحه فأجازه، وأصاب عوفاً زمان شديداً، فأتاه رجلٌ من مُراد فأرغبه في المال فزوجه أسماء على مائة من الإبل، ثم تنحى عن بني سعد بن مالك.
رجع مرقش فقال اخوته:

لا تخبروه إلا أنها ماتت... فلما قَدِمَ مرقش عليهم أخبروه ان اسماء ماتت. وبينما هو ذات يوم مضطجع وقد تغطى بثوبه، وابنا أخيه يلعبان بكعبين لهما، اذ اختصما في كعب، فقال أحدهما:

هذا كعبي أعطانيه أبي من الكبش الذي دفنوه وقالوا: إذا جاء مرقش أخبرناه انه قبر أسماء.

كشَفَ المَرَقْشَ عن رَأْسِهِ ودَعَا الغَلامَ، وَكانَ قد ضَنَّيَ، فَسأَلَهُ عن الحَدِيثِ، فَأخْبَرَهُ بِتَزْوِيجِ المَرادِيِّ أَسْمَاءَ، فَدَعَا مَرَقْشَ وَلِيدَةً لَهُ وَزَوْجَهَا وَذَهَبُوا فِي طَلَبِ المَرادِيِّ، وَبَيْنَا هُوَ فِي طَرِيقِهِ مَرَضَ مَرَضاً شَدِيداً، فَنَزَلُوا كَهْفاً بِأَسْفَلِ نَجْرانَ، وَهِيَ أَرْضُ مَرادَ، فَسَمِعَ المَرَقْشَ زَوْجَ الوَلِيدَةِ يَقُولُ لَهَا:

اتْرَكِيهِ، فَقَدْ هَلَكَ سُقْمًا وَهَلَكْنَا مَعَهُ ضَرْأً وَجوعاً. فَجَعَلَتِ الوَلِيدَةُ تَبْكِي مِنَ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهَا زَوْجُهَا:

اظْعَنِي فَإِنِّي تَارَكَكَ وَذَاهَبَ.

وَلَمَّا سَمِعَ مَرَقْشَ قَوْلَ العَقِيلِي، كَتَبَ عَلى مُؤَخَّرَةِ الرِّحْلِ أَيْبَاتاً قَالَ فِيهَا:

** يا صَاحِبِي تَلَبَّثًا لا تَعْجَلَا **
** إِنْ الرِّوَاخَ رَهِيْنُ أَلَا تَفْعَلَا **
** يا رَاكِبا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَا **
** اَنَسَ بَنَ سَعْدٍ إِنْ لَقِيتَ وَحَرَمَلَا **
** لِلَّهِ دَرَكُهَا وَدَرَّ أَبْيَكَمَا **
** إِنْ أَفَلَتَ العَبْدَانِ حَتَّى يُقْتَلَا **
** مَنْ مَبْلَغِ الأَقْوامِ إِنْ مَرَقْشًا **
** أَضْحَى عَلى الأَصْحابِ عِثًّا مَثَقَلَا **
** وَكَأَنَّمَا تَرَدَّ السَّبَاعُ بِشَلْوِهِ **
** إِذْ غَابَ جَمْعُ بَنِي ضُبَيْعَةَ مِنْهَا **

وَانْطَلَقَ الغَفْلِيُّ وَامْرَأَتُهُ حَتَّى رَجَعَا إِلى أَهْلِهِمَا فَقَالَا: مَاتَ المَرَقْشُ.
وَنَظَرَ حَرْمَلَةُ إِلى الرِّحْلِ، فَجَعَلَ يُقَلِّبُهُ فَقَرَأَ الأَيْبَاتَ، فَدَعَاها وَخَوَّفَهَا

وامرئها ان يصدقاه ففعلا، فقتلها بعد ان عرف المكان، فوصل الى
المكان فقيل له بينما كان المرقش في الكهف بصر به راعي زوج اسماء
فقال له :

أتستطيع أن تُكَلِّم امرأة صاحبك أسماء.

قال الراعي إنه لا يدنو منها ولكن جارتها تأتيه كل ليلة ليحلب
لها عنزاً فتأتيها بلبنها، فقال المرقش :

خذ خاتمي هذا فاذا حلبت فألقه في اللبن فانها تعرفه، وانك
ستصيب به خيراً لم يُصبه راعٍ قطّ أن أنتَ فعلتَ ذلك.

أخذ الراعي الخاتم، ولما راحت الجارية بالقدرح وحلب لها العنز،
طرح الخاتم فيه، فانطلقت به الجارية وتركته بين يدي أسماء، فلما
سكنت الرغبة أخذته فشربته، ففرع الخاتم ثنيّتها، فتناولته واستضاءت
بالنار فعرفته.

قالت اسماء لجارتها:

ما هذا؟

قالت الجارية:

ما لي به علم.

فأرسلتها الى مولاها فأقبل فزعاً، فقالت له:

ادعُ عبدك راعي غنمك.

حضر الراعي فسألته اسماء:

أين وجدت هذا الخاتم؟

قال:

وجدته مع رجل في موضع كذا، فقال: اطرحه في اللبن الذي

تشربه أسماء، فإنك تصيب به خيراً. وما أدري مَنْ هو ولقد تركته بآخر
رمق.

قال زوجها:

وما هذا الخاتم؟

قالت أسماء:

خاتم مُرقش فأعجل الساعة في طلبه.

ركب فرسه وحملها على فرس آخر حتى وصلا اليه فاحتملاه الى
أهلها فمات عند أسماء.

قال المرقش قبل موته:

** سرى نحوي خيال من سُليمي **
** فأرّقني وأصحّابي جُحودُ **
** فبتُّ أديرُ أمري كلّ حالٍ **
** وأذكرُ أهلها وهُمُ بعيدُ **
** على أن قد سما طرفي لنارٍ **
** يشبُّ لها بذى الدفلى وقودُ **
** حواليتها مهأً بيضُ التراقي **
** وآرامُ وغزلانُ رقودُ **
** نواعم لا تُعالجُ بؤسَ عيشٍ **
** أوانس لا تروحُ ولا ترودُ **
** يَرُحْنَ معاً بطاءُ المَشْيِ وداً **
** عليهنّ المجاسيدُ والبرودُ **

** سَكَنَ ببلدة وسكنتُ أخرى **
** وَقَطَّعَتِ المَوَاتِقُ والعُهُودُ **
** فمابالي أفي ويخَانُ عهدي **
** وما بالي أصاد ولا أصيدُ **
** وربُّ أسيلةِ الخدَّينِ بكرُ **
** مُنْعَمَةٌ لها فرْعٌ وَجيدُ **
** وذو أشْرِ شتيتُ النَّبِتِ عَذْبُ **
** نقيُّ اللونِ بَرَّاقُ بُرودُ **
** لهوتُ بها زماناً في شبَّابي **
** وزانتها النجائب والقصيدُ **
** أناسُ كلِّما أَخْلَفْتُ وصلاً **
** عناني منهم وصلٌ جديدُ. **

أم جعفر والأحوص

الأحوص هو علي الأنصاري، وُلِدَ في المدينة، وتوفي في دمشق.
شاعر حجازي قيل إنه كان يُشَبَّب بالنساء فنُفِيَ وسُجِنَ، كما كان لاذع
الهجاء يهابه الناس لذلك.

* * *

** أرسلت أم جعفر: لا تزرنّا **
** ليت شعري بالغيب من ذا دهاها **
** أأتاها محرّش بنميم **
** كاذب ما أراد إلا رداها **

* * *

** لقد مُنِعَتْ معروفها أم جعفر **
** وإني الى معروفها لفقير **
** وقد أنكرت بعد اعتراف زيارتي **
** وقد وَغَرْتُ فيها عليّ صدورُ **
** أدورُ ولولا أن أرى أم جعفر **
** بأبياتكم ما درتُ حيث أدورُ **

** أَزُورُ الْبُيُوتَ اللَّاصِقَاتِ بَيْتِهَا **
 ** وَقَلْبِي فِي الْبَيْتِ الَّذِي لَا أَزُورُ **
 ** وَمَا كُنْتُ زَوَّاراً وَلَكِنْ ذَا الْهَوَى **
 ** إِذْ لَمْ يَزُرْ لَا بَدْءُ أَنْ سِيَزُورُ. **

* * *

لما أكثر الأحوص التشبيب بأُمّ جعفر، وشاع شعره فيها، أوعده
 أخوها أيمن وتهّدّه، فلم ينتهِ الشاعر، فاستعدى عليه عمر بن عبد
 العزيز، فربطهما في حبل ودفع اليهما سوطين، وقال لهما: تجالدا.
 غضب أيمن، وقد استطاع الأحوص التملّص من الحبل وهرب،
 فتبعه أيمن حتى فاته الأحوص هرباً...

قال السائب بن عمر بن عوف يُعيرُ الأحوص بفراره ويُعارضه في
 هذه الأبيات:

** لَقَدْ مَنَعَ الْمَعْرُوفَ مِنْ أُمِّ جَعْفَرٍ **
 ** أَخُو ثَقَةٍ عِنْدَ الْجِلَادِ صَبُورُ **
 ** عَلَاكَ بِمَتْنِ السُّوْطِ حَتَّى اتَّقَيْتَهُ **
 ** بِأَصْفَرٍ مِنْ مَاءِ الصِّفَاقِ يَفُورُ **

فأجابه الشاعر الأحوص:

** إِذَا أَنَا لَمْ أَغْفِرْ لِأَيْمَنْ ذَنْبَهُ **
 ** فَمَنْ ذَا الَّذِي يَغْفُو لَهُ ذَنْبَهُ بَعْدِي **
 ** أُرِيدُ انْتِقَامَ الذَّنْبِ ثُمَّ تَرُدُّنِي **
 ** يَدُ لَأَدَانِيهِ مُبَارَكَةٌ عِنْدِي. **

** وَإِنِّي لِيدْعُونِي هَوًى أُمَّ جَعْفَرٍ **
 ** وَجَارَاتُهَا مِنْ سَاعَةٍ فَأُجِيبُ **
 ** وَإِنِّي لَأَتِي الْبَيْتَ مَا إِنَّ أَحِبُّهُ **
 ** وَأَكْثَرُ هَجَرَ الْبَيْتِ وَهُوَ حَبِيبُ **
 ** وَأَغْضِي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْكُمْ تَسُوءُنِي **
 ** وَأَدْعِي إِلَى مَا سَرَّكُمْ فَأُجِيبُ **
 ** هَبْنِي أَمْرًا إِمَّا بَرِيئًا ظَلَمْتِهِ **
 ** وَإِمَّا مُسِيئًا مُذْنِبًا فَيَتُوبُ **
 ** أَبْتُكَ مَا أَلْقَى فِي الْقَلْبِ حَاجَةً **
 ** لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَبِيبُ **
 ** لَكَ اللَّهُ إِنِّي وَاصِلٌ مَا وَصَلْتَنِي **
 ** وَمُثْنٍ بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَمُثِيبُ **
 ** وَآخِذُ مَا أَعْطَيْتَ صَفْوًا وَإِنِّي **
 ** لَأَرْوَرُّ عَمَّا تَكْرَهِيْنَ هَيُوبُ **
 ** وَلَا تَتْرِكِي نَفْسِي شَعَاعًا فَإِنِّهَا **
 ** مِنْ الْحَزَنِ قَدْ كَادَتْ عَلَيْكَ تَذُوبُ . **

* * *

- السلام عليكم، يا قوم .

- السلام عليك، السلام عليك .

التفتت الى الأحوص وقالت له :

- أعطني يا سيدي، ثمن الأغنام التي ابتعتها مني .

الأحوص: أنا؟ أنا ما ابتعتُ منك شيئاً.

- بلى، كيف تنفي ذلك؟!

الأحوص: والله، ما ابتعتُ منها شيئاً، يا قوم!

- يا قوم، كلّموه... فأنا امرأةٌ بي حاجةٌ وفاقةٌ وعوز... .

أحدهم: يا أخا العرب، اقضِ المرأةَ حقّها!

الأحوص: والله ما ابتعت منها غنماً، وما أعرفها، ولا رأيتها قطّ.

أم جعفر: صدقت يا أحوص، يا عدوّ الله، ما لي حقّ ولا تعرفني، وأنت قد حلفت على ذلك... وهؤلاء قومك ومن حضر من الناس قد سمعوك تُقسِمُ أنك لا تعرفني... وأنت تقول في شعرك: قلت لأُمّ جعفر وقالت لي أُمّ جعفر... فأنا أُمّ جعفر!!

ورد وديك الجنّ

** أنظرُ إلى شمس القصور وبدرها **
** والى خُزَامَاهَا وبهجة زهرها **
** لم تَبَلْ عَيْنُكَ أَيْضاً في إِسْوِدِ **
** جَمَعَ الْجَمَالَ كَوَجْهَهَا في شَعْرَهَا **
** وَرْدِيَّةُ الْوَجْنَاتِ يَخْتَبِرُ أَسْمَهَا **
** مِنْ نَعْتِهَا مَنْ لَا يَحِيطُ بِخُبْرَهَا **
** وَمَتَايِلَتْ فَضَحَكَتْ مِنْ أَرْدَافِهَا **
** عَجَباً، وَلَكِنِّي بَكَيْتُ لْخَصْرِهَا **
** تَسْقِيكَ كَأْسَ مُدَامَةٍ مِنْ كَفِّهَا **
** وَرْدِيَّةٌ، وَمُدَامَةٌ مِنْ طَرْفِهَا. **

* * *

تلك هي ورد، الحسناء الحمصية التي اشتهر بها ديك الجنّ حتى غلبت عليه، وذهبت به.

وراح الزوجان يتمتّعان بمباهج الحياة ونعماها.

تُرى، فات الشاعر أن الأيام غرّارة، وأن للحياة وجهاً آخر، وأن في الدنيا أشواكاً وليست كلّها أوراداً؟

وبينما كان الشاعر يُودّع زوجته، إذ اضطرّ للسفر بعد أن أعسر
واختلّت حاله، أخذت ورد تبكي على فراق زوجها كأنما تشعر أن هذا
الفراق سيجلب لهما الشرّ!

وكان لديك الجنّ ابن عم يُكنى أبا الطيّب، هجاء الشاعر هجاء
مريراً لتدخله في أموره، فسكت أبو الطيّب على مضض، يتحين
الفرص لينتقم منه.

وهل هناك خير من هذا الظرف ليّتهم ورداً بما ليست هي فيه؟!
راح أبو الطيّب يُذيع أن ورداً تهوى غلاماً له، وشاع ذلك الخبر
حتى أتى ديك الجنّ. وإذا بابن عمّه يستقبله على باب المدينة مُعِنِّفاً له
على تمسكه بتلك المرأة بعدما شاع عنها، وأشار عليه بطلاقها، وأعلمه
أنها غدرته في مغيبه، ودسّ الغلام الذي رماها به وقال له:

إذا قَدِمَ ديك الجنّ ودخل منزله، فقف على بابه كأنك لم تعلم
بقدومه وناد: يا ورد، فاذا قالت: مَنْ أنت؟ قل لها: أنا فلان.

فقال لها ديك الجنّ:

يا خائنة، زعمت أنك لا تعرفين من هذا شيئاً، واختلط سيفه
فضربها به.

* * *

** لك **	نفسٌ	مواتيه	**
**	والمنايا	مُغاديه	**
** أيها **	القلب لا	تَعُدْ	**
**	لهوى	البيض	** ثانيه **
** ليس **	بَرْقٌ	يكون	**
**	أخلب من برق	غانيه	**

** خُنتِ سرّاً من لم
يُخْنِك، فَمُوتِي علانيه. **

* * *

** ليتني لم أكن لعطفك نلتُ
والى ذلك الوصال وصلتُ
** قال ذو الجهل قد حَلُمْتُ ولا
أعلم أني حلمتُ حتى جهلتُ
** سوف آسى طول الحياة
وأبكيك على ما فعلتِ لا ما فعلتُ **

* * *

ولكنّ الوشاية الكاذبة، ما لبثت ان انكشفت، وأدرك الشاعر
سوء تصرّفه، وراحت صور ورد تتراءى له، فهي معه تارةً على
الميماس، وتارةً على العاصي، ومَرّت في ذهنه أيامه الحلوة ولياليه
الحاملة، فوهن وخارت قواه، وأحسّ أن الحياة بعد ورد لم يُعُدْ لها شأن،
فتوى على قبرها حزينا شارد الفكر والنظر، يُردّد هذه الأبيات:

** يا طلعةً طلع الحَمَامُ عليها
وجنى لها ثمرَ الردى بيديها
** مكنتُ سيفي في مجالٍ وشاحها
ومدامعي تجري على خديها
** ما كان قَتْلِيهَا لأنّي لم أكن
أبكي إذا مرَّ النسيمُ عليها **

** لكنْ ضنْتُ على العيونِ بلحظها **
** وأنفْتُ من نَظَرِ الحسودِ إليها... **

عنان والشعراء

أزدانت حلقات اللهو في العهد العبّاسي بشعراء مفكرين كأبي نواس ووالبة بن الحَبَاب وحمّاد عجرد، وبجوارٍ بارعات الذوق والجمال، شَغِفَاتٍ بالأدب والأدباء كجنّان... جوارٍ مختصّات بفنّ اللهو، عارفات بالشعر والغناء والرقص والعزف والدلّ... غلاميات رشيقات عطرّات أين من فنهنّ المُغري، عِفَّةٌ بشينة وعبلة، وأين النّوي والوتد، منَ الحداثق وأحواض الماء والقصور... عدا منَ اشتاق الى ألوان الماضي والى تقويم لسانه، فليس عليه إلّا أن يتبدّى، اي يذهب الى البادية، فيرى فتياتها الرعايب اللواتي ما عرفن مَضْغَ الكلام ولا صَبَغَ الحواجيب...

جيلٌ مُولّد له آفاقُ أشواقه وتفكيره، وأدبٌ مولد له تلاويئُهُ وله من الأوزان رشيقتها الصالح للغناء، ومن المعاني رقة وعمق، ومن الألفاظ جدّةً ولينٌ.

ليس الغزل في هذا العهد من نوع الغزل الذي كان سائداً في العهدين الجاهلي والأموي، عند عنترة مثلاً وابن معمر، ولا حتى عند امرئ القيس وابن أبي ربيعة، فهؤلاء كانت المرأة عند بعضهم مثلاً للحبّ والجمال، وعند البعض الآخر مثلاً للجمال وحسب، لكنها انحدرت في العهد العبّاسي عن عَرُشِهَا، وأمست وسيلة من وسائل اللذة.

إنه غَزَلَ أقرب شيء إلى الكذب، هو غزل بالجواري يمتدُّ مُنحرفاً
حتى التبذل. وهذا مثل عن شعراء خلعاء يتنادون إلى مجلسٍ لهو،
فتدعوهم «عنان» إلى بيتها حيث الشراب حلاً وحراماً.

قال داود بن رزين:

** قوموا لمنزل لهُوَ
** وظلّ بيت كنين
** فيه من الورد
** والنرجس والياسمين
** وقينة ذات غنج
** وذات عقلٍ رصين
** تشدو بكلّ طريف
** من مُحكم ابن رزين

وقال الخليع:

** إلى الخليع فقوموا
** إلى شراب الخليع
** إلى شراب لذيذ
** وأكّل جدي رضيع
** ونيل أحوى رخيم
** بالخندريس صريع
** في روضة جادها
** صوب غاديات الربيع

وقال عمر الورّاق:

عُوجُوا إِلَى بَيْتِ عَمْرٍو
إِلَى سَمَاعٍ وَخَمْرِ
وَنَاشِجَاتٍ عَلَيْنَا
تُطَاعُ فِي أَيِّ أَمْرٍ
فَهَاكَ أَحْلَى وَأَشْهَى
مَنْ صَيْدَ بَازٍ وَصَقْرٍ
هَذَا، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
أَوَّلَى وَلَا وَقْتُ عَصْرِ

وقال الحسين الخياط:

قَضَتْ عَنَانٌ عَلَيْنَا
بِأَنَّ نَزُورَ حَسِينَا
وَأَنَّ نَقَرَ لَدَيْهِ
بِاللَّهُو وَالْقَصْفِ عَيْنَا
فَمَا رَأَيْنَا كَظْرَفِ
الْحُسَيْنِ فِيمَا رَأَيْنَا
قَدْ قَرَّبَ اللَّهُ زَيْنَا
مِنْهُ، وَبَاعَدَ شَيْنَا

وقالت عنان:

مَهْلًا أَفْدِيكَ مَهْلًا
عَنَانٌ أَحْرَى وَأَوَّلَى

**	لديها	تنال	** بأن
**	والنعيم	أشهى	**
**	حراماً	عندي	** فإن
**	الشراب	من	**
**	وَحَلًا		**
**	سوائي	تطمعوا في	** لا
**	البرية	من	**
**	كلّا		**
**	خبّروني	اخوتي	** يا
**	أَمْ لا؟	أجاز	**
**	حُكْمِي		**

ولادة وابن زيدون

وُلِدَ الشاعر الأندلسي أبو الوليد أحمد بن عبد الله المخزومي، المعروف بابن زيدون، في قرطبة، العام ١٠٠٣م. وتوفي في اشبيلية العام ١٠٧٠م.

درس على أبيه وعلماء قرطبة وأدبائها.

أحبَّ ابن زيدون، ولادة بنت المستكفي، الشاعرة التي اشتهرت بمتناتها الأدبي، وبادلته ولادة الحب، لكنَّ ابن عبدوس، منافس ابن زيدون في السياسة، راح يُنافسه في الحب أيضاً، محاولاً استمالة ولادة إليه، وكسب ودّها.

وحدثت جفوة بين ولادة وابن زيدون، استغلّها ابن عبدوس، ولكنها زالت وعاد الصفاء الى قلب العاشقين الشاعرين، فكتب ابن زيدون رسالة هزليّة على لسان ولادة، يهزأ فيها بابن عبدوس ويفخر عليه.

وجعل ابن عبدوس يتحينَ الفرصَ للأخذِ بالثأر، وتشاء المصادفات ان يُسجن ابن زيدون، وكان قد عُرفَ بذي الوزارتين، فذهب ابن عبدوس الى ولادة طالباً ودّها وحبّها، فلاقى عندها قبولاً.

ويتألم ابن زيدون ويتحسّر على عهده السابق مع ولادة فيتنهد لها أرقّ الشعر شاكياً مُستعطفاً مُذكِراً بأيام السعادة والهناء، لافّة إياها الى

أنه على العهد مُقيم، ومن أشهر ذلك الشعر، قصيدته الموسومة:
«أضحى التناهي». قال فيها:

** أضحى التناهي بديلاً من تدانينا **
** وناب عن طيب لُقيانا تجافينا **

** بِشْتُمْ وَبِنَّا فما ابتلَّت جوانحنا **
** شوقاً اليكم ولا جفَّت مآقينا **

** يكاد حين تُناجيكم ضمائرنا **
** يقضي علينا الأسى لولا تأسينا **

** حالت لفقدكم أيامنا فغدتُ **
** سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا **

** إذ جانبُ العيش طلق من تألفنا **
** وموردُ اللهو صافٍ من تصافينا **

** وإذ هصرنا غصونَ الأنس دانيةً **
** قطوفها فجنينا منه ما شينا **

** لِيُسَقَ عهدُكم، عهدُ السرور، فما **
** كتم لأرواحنا إلا رباحينا **

** مَنْ مُبْلِغُ الملبسينا بانتزاجهم **
** حُزناً مع الدهر لا يَبلى ويُبَلينا **

** ان الزمان الذي مازال يُضحكنا **
** أنساً بقربكُم قد عاد يُبكيانا **

** ما حقنا ان تقرّوا عين ذي حسدٍ **
** بنا، ولا ان تسروا كاشحاً فينا **

** غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا **
** بأن نغصّ فقال الدهر: آمينا **

** فانحلّ ما كان معقوداً بأنفسنا **
** وانبثّ ما كان موصولاً بأيدينا **

** بالأمس كنّا وما يخشى تفرّقنا **
** واليوم نحن وما يرجى تلاقينا **

** لم نعتقّد بعدكم إلاّ الوفاء لكم **
** رأياً، ولم نتقلّد غيره دينا **

** لا تحسبوا نأيكم عنا يُغيرنا **
** ان طالما غيّر النأي المحيينا **

** والله ما طلبت أهواؤنا بدلاً **
** منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا **

** ولا استفدنا خيلاً عنك يشغلنا **
** ولا اتخذنا بديلاً عنك يُسلينا **

** يا ساري البرق غاد القصر فاسق به **
** من كان صرف الهوى والودّ يسقينا **

** ويا نسيم الصبا بلّغ تحييتنا **
** من لو على البعد حياً كان يحيينا **

** كَأَنَّا لَمْ نَبْتَ وَالْوَصْلُ ثَالِثَا **
 ** وَالسَّعْدُ قَدْ غَضَّ مِنْ أَجْفَانِ وَاشِينَا **
 ** سِرَّانٍ فِي خَاطِرِ الظُّلَمَاءِ تَكْتُمُنَا **
 ** حَتَّى يَكَادَ لِسَانُ الصُّبْحِ يُفْشِينَا **
 ** لَا أَكْوُسُ الرَّاحِ تُبْدِي مِنْ شَمَائِلِنَا **
 ** سِيَمَا ارْتِيَاكِ وَلَا الْأَوْتَارُ تُلْهِينَا **
 ** دُومِي عَلَى الْعَهْدِ، مَا دَمْنَا، مُحَافِظَةً **
 ** فَالْحُرُّ مَنْ دَانَ أَنْصَافاً كَمَا دِينَا **
 ** أُولَى وَفَاءً وَإِنْ لَمْ تَبْذِلِي صِلَةً **
 ** فَالذِّكْرُ يُقْنَعُنَا وَالطِّيفُ يُكِينَا **
 ** وَيَا حَيَاةً تَمْلِينَا بِزَهْرَتِهَا **
 ** مَنِّي ضُرُوباً وَلَذَاتِ أَفَانِينَا **
 ** وَيَا نَعِماً خَطَرْنَا مِنْ غَضَارَتِهِ **
 ** فِي وَشْيِ نَعْمَى سَحَبْنَا ذَيْلَهُ حِينَا **
 ** لَسْنَا نُسَمِّيكِ إِجْلَالاً وَتَكْرِمَةً **
 ** وَقَدْرُكَ الْمُعْتَلَى عَنْ ذَاكَ، يُغْنِينَا **
 ** إِذَا انْفَرَدَتْ وَمَا شُورَكَتِ فِي صِفَةٍ **
 ** فَحَسَبْنَا الْوَصْفُ إِضَاحاً وَتَبِينَا **
 ** يَا جَنَّةَ الْخُلْدِ أَبَدَلْنَا بِسِلْسِلِهَا **
 ** وَالْكَوْثَرَ الْعَذْبَ زَقُومًا وَغَسَلِينَا **

** إنْ كَانَ قَدْ عَزَّ فِي الدُّنْيَا اللَّقَاءُ فِي
مَوَاقِفِ الْحَشْرِ نَلْقَاكُمْ وَيَكْفِينَا
عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامُ اللَّهِ مَا بَقِيَثُ
صِبَابَةٌ مِنْكَ نُخْفِيهَا فَتُخْفِينَا. **

حُبَيْشَةُ وابْنِ علقمة

خرج عبد الله بن علقمة، ذات يوم، مع أمّه، وهو فتى يافع،
لزيارة جارة لها وكانت للجارة بنت يُقال لها حُبَيْشَةُ، فلما رآها ابن
علقمة أعجبته أيّما إعجاب، فانصرف تاركاً أمّه عند الجارة، فلبثت
هناك يومين كاملين، ولما عاد ليرجعها الى البيت، وجد حُبَيْشَةَ قد زُيِّنَتْ
لحضور مناسبةٍ في الحيّ، فازداد عبد الله بها عَجَباً، ثم أخذ أمّه ومشى
معهما وكانت السماء تمطر، فأنشأ يقول:

** وما أدري بلى إني لأدري **
** أصوب القطر أحسن أم حُبَيْشُ **
** حُبَيْشَةُ والذي خلق الهدايا **
** وما إن عندها للصبّ عيشُ **

سمعت ذلك أم عبد الله، فتظاهرت بعدم الاكتراث، وبعد قليل
التقيا بظبية على ربوة، فقال ابن علقمة:

** يا أمّتا خبريني غير كاذبةٍ **
** وما يُريدُ مَسْئولُ الحقِّ بالكذبِ **
** أتلك أحسن أم ظبيّ برايبيةٍ **
** لا بل حُبَيْشَةُ في عيني وفي أربي. **

زَجَرْتُهُ أُمُّهُ وَقَالَتْ لَهُ :

ما أَنْتَ وَهَذَا الْقَوْلُ يَا عَبْدَ اللَّهِ ، إِنِّي مَزُوجَتُكَ ابْنَةُ عَمِّكَ ، فَهِيَ أَجْمَلُ مِنْ تِلْكَ .

وَلَدَى وَصُولِهَا الْمَنْزَلَ اتَّصَلْتُ أُمَّ عَبْدَ اللَّهِ بِامْرَأَةٍ عَمِّ الشَّاعِرِ ، فَأَخْبَرْتَهَا الْقِصَّةَ ، وَقَالَتْ لَهَا : « زَيَّنِي ابْنَتُكَ لَهُ » ، ففعلت ، ولما دُعِيَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَأَى ابْنَةَ عَمِّهِ ، أَطْرَقَ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ : « أَيُّهُمَا الْآنَ أَحْسَنُ ؟ » فَقَالَ ابْنُ عُلْقَمَةَ :

** إِذَا غُيِّبَتْ عَنِّي حُبَيْشَةُ مَرَّةً **

** مِنْ الدَّهْرِ لَمْ أَمْلِكْ عِزَاءً وَلَا صَبْرًا **

** كَأَنَّ الْحَشَى حَرُّ السَّعِيرِ يَحْشُشُهُ **

** وَقَوْدُ الْغَضَى وَالْقَلْبُ مُضْطَرِمٌّ جَمْرًا **

وَجَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ عُلْقَمَةَ يُرَاسِلُ حُبَيْشَةَ وَتُرَاسِلُهُ حَتَّى أَحْبَبَتْهُ كَمَا أَحْبَبَهَا ، وَرَاحَ الشَّاعِرُ يَسْتَوْحِي الشَّعْرَ وَيَتَنَهَّدُهُ صَبَاحَ مَسَاءٍ ، وَمِنْ ذَلِكَ الشَّعْرِ ، قَوْلُهُ :

** حُبَيْشَةُ هَلْ جَدِّي وَجَدُّكَ جَامِعٌ **

** بِشَمْلِكُمْ شَمْلِي وَأَهْلِكُمْ أَهْلِي **

** وَهَلْ أَنَا مُلْتَفٌّ بِثَوْبِكَ مَرَّةً **

** بِصَحْرَاءَ بَيْنَ الْأَثْلَتَيْنِ إِلَى النَّخْلِ **

** وَمُرتَشِفٌ مِنْ رِيْقِ ثَغْرِكَ مَرَّةً **

** كَرَّاحٍ وَمِسْكٍ خَالِطًا ضَرْبَ النَّخْلِ **

وَلَمَّا بَلَغَ هَذَا الشَّعْرُ أَهْلَ حُبَيْشَةَ ، حَجَبُوهَا عَنِ الشَّاعِرِ ، وَقَالُوا لَهَا : إِذَا أَتَاكَ غَدًا قَوْلِي لَهُ : « نَشَدْتُكَ اللَّهُ إِنْ كُنْتَ أَحْبَبْتَنِي فَمَا عَلَى الْأَرْضِ شَيْءٌ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْكَ » .

ولما جاء عبد الله تخفّى أهل حُبَيْشَة، ودمعت عينا الحبيبة،
والتفتت الى حيث أهلها، فعرف الشاعرُ بالأمر، فرجع وقد بلغه فيها
بعد، ما أمروها به أن تقوله، فأنشأ يُردّد هذه الأبيات:

** فلو قلت ما قالوا لَزَدْتُ بكم جوى **
** على أنه لم يبقَ سِرٌّ ولا صَبْرٌ **
** ولم يكُ حُبِّي عن نوالِ بذلتُهُ **
** فَيُسَلِّني عنه التجنُّبُ والهَجْرُ **
** وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ دمعها **
** ونَظَرَتِها حتى يُغَيِّني القَبْرُ. **

* * *

ولموت عبد الله بن علقمة قصة فقد قيل انه وقع أسيراً في أيدي
أعدائه، فَرُبِطَ بحبل وقُدِّمَ للقتل، فقال لهم:

«هل لكم في خير؟ أنزلوني أسفل الوادي واقتلونني هناك...»
فأجيب الى رغبته، فنادى بأعلى صوته: «أسلمي حُبَيْش عند نفاذ
العيش».

فأقبلت اليه جاريةٌ بيضاء حُسَّانة وقالت: «وأنت فاسلم على كثرة
الأعداء وشدة البلاء».

فقال:

«سلام عليك دهرا وإن بقيت عصرا»

فقالت:

«وأنت سلام عليك عشرا، وشفعا ووترا، وثلاثة تَتَرى».

فقال الشاعر:

** إن يقتلوني يا حُبِشْ فلم يَدَعْ
هواكِ لهم مني سوى غُلَّةِ الصَّدْرِ **

** فأنتِ التي أخليتِ لحمي من دمي
وعظمي وأسبلتِ الدموعَ على نحري. **

ثم ضُربَ عنقه فتقحَّمتْ الجارية من خدرها حتى أهوت نحوه
وما زالت تضرب نفسها حتى ماتت مكانها.

عُتْبَةُ وَأَبُو الْعَتَاهِيَةِ

كان الشاعر أبو العتاهية يُحِبُّ جاريةً اسمها عُتْبَةُ، وكانت عُتْبَةُ في قصر المهدي، وكان للمهدي مَغَنٍّ مقَرَّبٌ إليه اسمه يزيد حوراء، ويزيد صديق أبي العتاهية، فسأل الشاعرُ المغني أن يُكَلِّمَ المهدي في أمر عُتْبَةِ، فقال له: «لا يُمكنني الكلام يا أبا العتاهية، ولكن قُلْ شِعْراً أُغْنِيه به»، فقال الشاعر:

** نفسي بشيءٍ من الدنيا مُعَلَّقَةٌ **
** الله والقائمُ المَهْدِيُّ يَكْفِيهَا **
** إني لأَيْأسُ منها ثم يُطْمَعُنِي **
** فيها احتقارُكَ للدنيا وما فيها. **

لَحَنَ يزيد حوراء أبيات أبي العتاهية وغنَّها أمام المهدي، فقال له: «ما هذا؟» فأخبره خَبَرُ أبي العتاهية، فقال: «ننظر فيما سأل». ومضى شهر فجاء أبو العتاهية إلى يزيد حوراء يسأله أن يذكره للمهدي، فقال له: «إن أحببت ذلك فقلْ شِعْراً تُحَرِّكُه به وتُذَكِّرُه وَعَدُّه حتى أُغْنِيه به، فقال:

** ليت شِعْري ما عندكم ليت شِعْري **
** فلقد أَخَّرَ الجوابُ لأمرٍ **

** ما جوابٌ أولى بكلِّ جليلٍ **
** من جوابٍ يُردُّ من بعد شهرٍ **

غنى يزيدُ المهديَّ بهذين البيتين، فقال: «عليَّ بعتبة»، فأحضرت له، فقال: «إنَّ أبا العتاهية كلَّمَنِي فيكَ، فما تقولين، وعندي لك وله كل ما تُحبَّان وما لا تبلغه أمانيكما؟».

فقالت عتبة:

«قد علم أمير المؤمنين ما أوجب الله عليَّ من حقِّ مولاتي، وأريد أن أذكُرَ هذا لها».

وعادت عتبة الى مولاتها، ومضت أيام فجاء أبو العتاهية يسأل يزيد حوراء معاودة المهدي ومعه هذه الأبيات:

** ولقد تنسَّمْتُ الرياحَ حاجتي **
** فاذا لها من راحتِكَ نسيمٌ **

** أعلقت نفسي من رجائك ما له **
** عَنَّقُ اليك يُخَبُّ بي ورسيمٌ **

** ورميتُ نحو سماءِ جُودِكَ ناظري **
** أرعى غُخايلَ بَرَقَها وأشيمٌ **

** ولربما استيأسْتُ ثم أقول لا **
** إنَّ الذي وعد النجاحَ كريمٌ **

لحن يزيد حوراء هذه الأبيات وغناها المهديَّ فأرسل في طلب عتبة، فحضرت فسألها: «ما صنعتِ؟».

قالت: «ذكرتُ الأمر لمولاتي فكرهته وأبتُّه، فليفعل أمير المؤمنين ما يُريد».

قال المهدي :

« ما كنتُ لأفعل شيئاً تكرهه » .

علم الشاعر بالأمر: فقال:

** قطعْتُ منكِ حَبَائِلَ الآمَالِ **
** وَأَرَحْتُ منِ حِلٍّ ومنِ تَرْحَالِ **
** ما كانَ أَشْأَمَ إِذْ رجاؤُكَ قاتلي **
** وبناتٌ وَعَدِكِ يَعْتَلِجْنَ بيالي **
** ولئن طمعتُ لَرُبَّ بَرْقَةٍ خُلِبَ **
** مالتُ بذِي طَمَعٍ وَلَمَعِ آلِ . **

ليلي والبراق

أُحِبَّتْ ليلي بنت لكيز بن مرة، ابن عمّها البراق بن روحان،
وكانت تُلقَّب بالعفيفة لصونها نفسها.

بادلها البراق عاطفتها وأراد أن يتزوَّجا ، ولكنَّ أهلها مانعوا في
ذلك، وخطبها أبوها لسواه، فخطفها ابن كسرى بغية زواجها، ولكنها
رفضت واستصرخت البراق ابن عمّها واخوتها وقومها، قائلة:

** ليت للبراق عيناً فترى **
** ما أقاسي من بلاء وعنا **
** واحذروا العار على أعقابكم **
** وعليكم ما حيتم في الوري. **

* * *

وما وصلت صرخة ليلي آذان البراق وقومها، حتى هجموا على
الأعداء. واستطاع البراق انتزاع حبيته من أيدي غاصبيها، واستحقَّ
أن يتزوَّجها، وقد عاشا حياةً سعيدة.

فضل وابن الجهم

فضل، شاعرة نشأت في البصرة، في عصر المتوكل، وكان عصر الشعر الساحر، والديباجة الأنيقة، والأسلوب الغنائي الجميل. ولم تُقَصِّر فضل عن الشعراء اللامعين في ذلك العهد، وكثيراً ما تقدّمتهم في الشعر الغنائي الذي يعتمد على الرقة والتأثير. ومن شعرها:

** لَأَكْتُمَنَّ الَّذِي بِالْقَلْبِ مِنْ حُرْقٍ **
** حتى أموت، ولم يعلم به الناس **
** وَلَا يُقَالُ شَكَا مَنْ كَانَ يَعِشْهُ **
** إِنَّ الشُّكَاةَ لَمَنْ تَهْوَى هِيَ الْيَاسُ **
** وَلَا أَبُوحُ بِشَيْءٍ كُنْتُ أَكْتُمُهُ **
** عِنْدَ الْجُلُوسِ إِذَا مَا دَارَتْ الْكَاسُ. **

* * *

وكانت فضل سريعة الخاطر، نبیهة، طريفة، يُطَارِحُهَا الشعراء فتجيز بسرعة ما يعرض عليها، وقد طارحها مرة علي بن الجهم في حضرة المتوكل، قائلاً:

** لَاذِ بِهَا يَشْتَكِي إِلَيْهَا **
** فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهَا مَلَاذًا. **

فقلت فضل على الفور:

** ولم يزل ضارعاً اليها **
** تطل أجفانه رذاذا **
** فعاتبوه، فزاد عشقاً، **
** فمات وجداً، فكان ماذا؟ **

* * *

وألقي عليها هذا البيت:

** ومستفتح باب البلاء بنظرة **
** تزود منها قلبه حسرة الدهر **

فقلت فضل:

** فوالله ما يدري أتدري بما جئت **
** على قلبه، أم أهلكته، ولم تدري؟ **

الرُّمَيْكِيَّةُ وابن عَبَّاد

يُقال: بدأ الشعر بملك، وانتهى بملك. والمقصود بدأته بامرئ القيس، ونهايته بالملك المعتمد بن عَبَّاد. ولعلَّ هذا الملك الأندلسيُّ يُشبه المشرقيَّ أبا فراسٍ بمعاناة سجنٍ وآلامٍ بعد عزٍّ.

تغلب ابن تاشفين على ابن عَبَّاد، وحمله أسيراً الى أغمات، فتجمهر شعبه على ضفة النهر الكبير حزناً، وقد شقَّت الجيوب حزناً وانفجرت الدموع ينابيع غزيرة، ولا سيما ما كان من النساء تفجَّعاً على هذا الملك الشاعر الطيب.

* * *

من شعر ابن عَبَّاد وهو في سجنه بأغمات:

** فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا **
** فجاءك العيد في أغمات مأسورا **
** ترى بناتك في الأظمار جائعة **
** يغزلن للناس، ما يملكن قِطميرا **
** برزنَ نحوك للتسليم خاشعة **
** أبصارهنَّ، حسيراتٍ مكاسيرا **

** يَطْأَنَّ فِي الطِّينِ، وَالْأَقْدَامُ حَافِيَةٌ **
 ** كَأَنَّهَا لَمْ تَطَأْ مِسْكَاً وَكَافُوراً **
 ** لَا خَدَّ إِلَّا تَشَكَّى الْجَدْبَ ظَاهِرُهُ **
 ** وَلَيْسَ إِلَّا مَعَ الْأَنْفَاسِ مَمْطُوراً **
 ** أَفْطَرْتَ فِي الْعِيدِ، لَا عَادَتِ إِسَاءَتُهُ **
 ** وَكَانَ فِطْرُكَ لِلْأَكْبَادِ تَفْطِيراً **
 ** قَدْ كَانَ دَهْرُكَ إِنْ تَأْمَرُهُ مِمْتَلَأٌ **
 ** فَرَدَّكَ الدَّهْرُ مِنْهَا وَمَأْمُوراً **
 ** مَنْ بَاتَ بَعْدَكَ فِي مَلِكٍ يُسَرُّ بِهِ، **
 ** فَإِنَّمَا بَاتَ بِالْأَحْلَامِ مَغْرُوراً! **

* * *

أَوْ قَوْلُهُ :

** بَكَيْتُ إِلَى سَرَبِ الْقَطَا إِذْ مَرَرْنَ بِي **
 ** سَوَارِحَ، لَا سَجْنَ يُعَوِّقُ وَلَا كَبْلُ **
 ** وَلَمْ يَكُنْ، وَاللَّهِ الْمَعِيدِ، حَسَادَةً **
 ** وَلَكِنْ حَنِيناً أَنْ شَكَلِي لَهَا شَكْلُ **
 ** فَاسْرَحُ، لَا شَمْلِي صَدِيعُ وَلَا الْحِشَا **
 ** وَجِيعُ، وَلَا عَيْنَايَ يَبْكِيهِمَا ثُكْلُ **
 ** هَنِيئاً لَهَا إِنْ لَمْ يُفَرِّقْ جَمِيعَهَا، **
 ** وَلَا ذَاقَ مِنْهَا الْبُعْدَ عَنْ أَهْلِهَا أَهْلُ **

** وار م بيت مثلي يطير فديها **
** إذا اهتزَّ بابُ السجن أو صلصل القفل **
** ننسي الى لقاء الحمام تشوق **
** سواي يحب العيش في ساقه جعل **
** ألا عصم الله القطا في فراخها **
** فإن فراخي خانها الماء والظل **

* * *

ومن قول ابن عبَّاد، أيام عزه، باعتماد الرميكية، التي أحبها
مدى حياته:

** كتبتُ وعندي من فراقك ما عندي **
** وفي كبدي ما فيه من لوعة الوجد **
** ولولا طلاب المجد زرتك طيه **
** عميداً كما زار الندى ورق الورد **

* * *

أو قوله:

** أنا في عذاب من فراقك **
** نشوان من خمر اشتياقك **
** صبَّ الفؤاد الى لقاءك **
** وارتشافك واعتناقك **

** هذي جفوني أقسمت **
** لا تلتقي ما لم تلاقك **
** فصلي جميل الظن بي **
** وثقي فقلبي في وثاقتك. **
* * *

ولا بن عبّاد مع اعتماد الرميكية أخبار لا ألطف ولا أبهج. منها
أنهما زارا ذات يوم قرطبة في الشتاء، فأدهش اعتماد وخلب لبّها، منظرُ
الثلج على أغصان الشجر، فتنهّدت متمنيةً هذا البهاء لأشبيلية التي لا
تعرف الثلج. وحين عادا الى أشبيلية، عمد الشاعر الى غرس مساحة
بأشجار اللوز، وإبان الازهار، دعا ابن عبّاد عروس شعره، الى
القصر، وعندما أطلّت على الشرفة، طارت فرحاً لمراى الأزهار على
الأغصان، وقد أعاد لها ابن عبّاد ما شغفها من مشهد الثلج في قرطبة.
لكنّ التاريخ لم يذكر لنا ماذا كانت مكافأة عروس الشعر
لشاعرها؟!.